شعارنا الوحيد : إلى الاسلام من جديد

# البحث الإسلامي

تصدر : فى ندوة العلماء لكهنؤ ( الهند )

المجلد الثامن عشر — ذوالحجة ١٣٩٢هـ
العدد الخامس — يناير ١٩٧٣م

Phone 22948 Regd. No. L. 1692
ALBAAS - EL - ISLAMI
Nadwatul Ulama, Lucknow.( India )

## بذل المجهود فى حل أبى داؤد

لمؤلفه العلامة الكبير المحدث الجليل الشيخ خليل أحمد السهارنفورى
مدير جامعة مظاهر العلوم سهارنفور ( الهند ) المتوفى ١٣٤٦هـ

إن هذا الكتاب ليس شرحاً وافياً لسنن أبى داؤد فحسب ، بل إنه سفر ضخم يتضمن بحوثاً ذات قيمة كبيرة فى علم الحديث وشرح كلام النبوة ورواة الحديث ومكانتهم وتراجمهم فى ضوء أقوال الأئمة والمحدثين الكبار

وقد اهتم المؤلف بأقوال الامام أبى داؤد وكلامه فى الرواة وبتخريج التعليقات والفحص عنها فى كتب أخرى ، وتطبيق الروايات بالترجمة كما أنه حكم فيما اختلف الشراح بما شرح الله به صدره وتكلم بكلام فصل من غير تردد ، وميزة أولى لهذا الكتاب أنه كتب على نهج المحدثين وأئمة الحديث الذين تلقت الأمة كتبهم وشروحهم بقبول عام ، واشتمل على بحوث قيمة فى أسماء الرجال وأصول الحديث .

وقد علق على الكتاب فوائد ذات أهمية كبيرة تلميذه النابغة العلامة المحدث الكبير فضيلة الشيخ محمد زكريا . ونشرت هذه التعليقات على الهامش

ثمن الجزء الأول ٢٠ روبية وثمن الجزء الثانى ٢٠ روبية ، وثمن الجزء الثالث ١٨ روبية ، والأجزاء الباقية قيد الطبع . و يطلب من :

مكتبة دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ ( الهند )
و المكتبة الامدادية باب العمرة ( مكة المكرمة ) .

Printed by S. M. HASANI at Nadwa Press, LUCKNOW

# البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

الاشتراكات

في الهند و باكستان : عشر روبيات - ثمن النسخة روبية واحدة
في العالم العربي : جنيه و ربع (استرليني) (بالبريد العادي)
" " ثلاثة جنيهات إلا ربع (استرليني) (بالبريد الجوى)
في افريقيا الجنوبية والشمالية : جنيه وربع (استرليني) (بالبريد العادي)
" " ثلاثة جنيهات ونصف " (بالبريد الجوى)

المراسلات

العنوان البعث الاسلامي ، دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ (الهند)
الهاتف : ٢٩١٧٤ - ٢٢٩٤٨
برقية NADWA, Lucknow

الاشتراكات في باكستان ترسل إلى مجلة " البلاغ " دار العلوم كراچي رقم ١٤ باكستان

الوكالات

- مكتبة المنار الكويت
- مكتبة الآداب الرياض السعودية
- المكتب الاسلامي ص ب ٣٧٧١ بيروت
- مكتبة الثقافة الدوحة قطر
- إقبال الندوى الجامعة الاسلامية المدينة المنورة السعودية
- الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى الرياض المملكة العربية السعودية
- مكتبة الحرمين ص ب ٥١١ الدمام ( السعودية )
- مكتبة النهضة - بريدة - القصيم - المملكة العربية السعودية
- يعقوب اسماعيل منشى المحترم

Yakub Ismail Munshi
1- Savile, Saviletown, Dewsbury, (Yorks), U. K.

- مكتبة المنار ميدان التحرير - صنعاء - اليمن
- المكتبة الحديثة - دبى ( الخليج العربى )



البعث الإسلامي | القومي الإسلامي | البعث الإسلامي

العدد الخامس
المجلد الثامن عشر

رئيس التحرير : محمد الحسني
مدير التحرير : سعيد الأعظمي

ذو الحجة ١٣٩٢ هـ
يناير ١٩٧٣


## ( ندوة العلماء )

قامت ندوة العلماء على مبدء الجمع بين الدين الخالد الذى لايتغير وبين العلم النامى الذى لا يتحجر ، بين صلابة الحديد فى الثبات على العقيدة ، و بين نعومة الحرير فى اقتباس العلوم النافعة ، فبينما العالم الدينى فى عقيدته و عبادته جبل ثابت ، إذا هو فى علمه و دراسته و تقدمه نهر عذب جار ، و بينما هو فى نصوص الدين وعزائمه مرابط على الثغر و حارس للأمانة ، إذا هو فى تفهيمه و دعوته جندى مهاجم ومسلح على أحدث طراز ، وبينما هو فى الأول لايعرف الهوادة إذا هو فى الثانى لا يعرف الجمود .

بناية دار العلوم لندوة العلماء الرابضة على شاطئى نهر گومتى فى لكهنؤ (الهند)

# الفهرس


من وحى الزمان والمكان — محمد الحسنى — ٣

## التوجيه الإسلامي

شرف هذه الأمة وبهاؤها — سماحة الشيخ المحدث محمد زكريا الكاندهلوى — ١٠
سلطان الثقافة الغربية على الفكر الاسلامى المعاصر — الأستاذ محمد المبارك — ١٩

## الدعوة الإسلامية

الوقاية من « السفه المطبق » — فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى — ٢٩
ثواب الجهاد فى سبيل الله — عبد الرحيم صالح عبد الله — ٣٧
مادتنا الحب — الدكتور سعيد رمضان — ٤٦
ما قيمة كأس لا تطفح ؟ — الأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى — ٥٦

## إقتصادنا في ضوء الإسلام

مشكلة الفقر فى ضوء السنة والتاريخ — فضيلة الشيخ يوسف القرضاوى — ٦٢

## الفقه الإسلامي

قضايا الأحوال الشخصية للمسلمين — الأستاذ السيد أحمد القادرى — ٧٢
نص قرار مجلس قيادة الثورة الليبى — ٨٠
حول تعدد الزوجات — فضيلة الشيخ عبد العزيز العلى المطوع — ٨٧

## العالم الإسلامي

انجازات رابطة العالم الاسلامى — ٩٦
المغتربون فى محنة قاسية — ٩٩
أخبار اجتماعية و ثقافية — قلم التحرير — ١٠٠


بسم الله الرحمن الرحيم

## من وحى الزمان و المكان

المكان : بيت الله الحرام ، ومسجد النبى عليه وعلى آله واصحابه الصلاة والسلام !

والزمان : زمن التشريق ، والتهليل والتحميد والتكبير « ولتكبروا الله على ما هداكم و لعلكم تشكرون » .

قد يصل هـذا العدد إلى أيدى القراء و هم فى أجواء الحج زماناً و مكاناً ، و فى أنوار الحج روحاً و معنى ، أو فى أصداء الحج مشعراً ومقاماً ، فليكن حديث اليوم حديث المجالس والمحافل ، والنوادى والمجامع و المساجد و الجوامع ، و ليكن ذلك الشغل الحلو الجميل ، الشغل الشاغل للمسلمين أجمعين ، لأنه حديث الحبيب والقريب ، حديث الحب و الوفاء ، والصدق والولاء ، حديث يشحن القلوب الفارغه ببطارية الايمان ، ويشعل المجامر الخامدة الباردة بشعلة الحب والحنان ، ويذكى مشاعل النور للتخبطين فى ظلام المذاهب و الشعارات ، و العصبيات و الجاهليات ، بل القمامات والقذرات ، مهما حسنت أسماؤها و راقت ألقابها ، و طابت مظاهرها و أشكالها .

فهذى الليالى كلها أخوات

« ولعبد مؤمن خير من مشرك و لو أعجبكم »

و لئن رضى الجاحدون ، و المنكرون ، أو المفتخرون بلقمات لفظتها

موائد الغرب فان الله لا يرضى لعباده الكفر ، إنه لا يرضى بأن يرى حملة دينه ، و الأمناء على رسالته يتطفلون على فتات الطعام و يقفون كالأيتام على مأدبة اللئام !

و يتكرر الحج كل عام ليجدد ما طرأ على المسلم من بلى ، و يصلح ما أصابه من زيغ ، أو ما اعتراه من خلل ، أو ما لحقه من نقصان ، أو ما لصقه من عار ، أو ما جف من منابع الايمان و اليقين فى معاقل الاسلام ، و أوطان المسلمين .

إنه يقف بنـــا كل عام أمام بيت الله العتيق ، و فى عتبات الحرم و فسحات المشاعر ، لنتذكر ما ينساه العبد المذنب ، القـاصر ، العاثر ، المكدود ، فى زحمة الحوادث والأشغال ، و خضم المحيط الهادر من أضواء الحياة و ضوضائها ، و ضجيج الحياة و عويلها ، و لمعان المادة و بريقها ، لتنكشف الغشاوة عن بصره ، و لتتبين معالمه و مقاصده و مراميه البعيدة فى ذلك الجو المكفهر ، الملبد بالغيوم ، فيعرفها حق المعرفة ، ويفهمها كل الفهم ، و يثق بها كل الثقة ، ثم يعود منها ، ـ وقد قضى مناسكه و أوفى نذوره ـ بايمان جديد قوى غالب ، لا يعرف الهزيمة والانكسار ، ويواجه الحقائق المرة و التحديات السافرة ليقضى عليها و يرد كيدها الى نحرها ، لا ليحنى لها هامتها صغراً أو استصغاراً لنفســه ، أو يأسا من روح الله و نصره ، « فانه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

فلا يخضع رأسه ولا يستصغر نفسه ، ولا يتواضع ، و لا يتضاءل ولا يتلاشى إلا أمام الله العلى العظيم الذى له ملك السماوات والأرض ، أما إذا وقف أمام إنسان مثله ( مهما بلغ هــذا الانسان ذروة القوة



والجاه و السلطان ) لم ير عليه فضلا و كرامة إلا بالتقوى .

إن الحج لا يحارب تلك الرذائل التى تلاصقت بالنفس البشرية رذيلة رذيلة ولا يجهد نفسه فى القضاء على علاتها منفصلة ، بل يقضى عليها ـ إذا صحت نية المؤمن وسلمت طويته ـ جملة واحدة ، إنه يكتسح سائر الأحراش والنباتات السامة فى النفس البشرية كسيل جارف قوى لا يمنعه شئ ، ثم يجعلها صالحة للغرس ، و الرى ، والنمو ، والازدهار .

إن الانسان الذى يخمد ، و يتوانى ، و يتقاعس عن العمل لأجل بيئته الفاسدة و شرورها ، أو ينحرف عن طريقه السوى بشعارات ضالة تأخذ بلبه ، أو يتبع هواه لترفه وتنعمه يجد فى هذا المكان ما يجدد نشاطه ويقوى همته ، و يصحح مسيرته ، و يقضى على طغيانه و غفلته ، فيذكر أن عباد الله ليسوا بالمتنعمين ، بل إنهم من المجاهدين الصابرين ، الصامدين ، والحج بما فيه من وقوف و قيام ، و غرام و هيام ، و تنقلات متتابعة ، و رحلات مضنية و تمثيل لنوادر التضحية و الطولة و الفداء ، و استجابة لهاتف الغيب ، و تلبية لرب البيت ، و خضوع للأمر ، لا يدع له فرصة للراحة و الاستجمام ، و القيام فى غير مقام ، شأن المحب المتيم الذى كابد الهجر و الفراق ، و برح به الشوق ، و كاد الحب يأخذ بلبه و يتركه يهيم على وجهه ، دواؤه أن يلمح حبيبه ولو من بعيد ، و يسمع حديثه و لو من وراء حجاب ، و يسمح له بالاطراح على عتبته و الابتهال على بابه ، و النياحة على نفسه والتلويح بلوعة قلبه و كبده و لو لساعات و أيام من جملة العام .

إن المسلم اليوم لم يفقد العلم ، و لم يفقد المال ، و لم يفقد القيادة

ولم يفقد النظام - رغم أهمية كل من هذه النواحى - بمثل ما فقد القلب الولوع الحنون ، القلب المشرق العامر بالايمان ، القلب النابض الحى ، القلب الذى يتحرق على خسارة الروح و الضمير أكثر مما يتحرق على خسارة التصدير والتوريد .

هذا القلب لا يدع المسلم ينام قرير العين ، ناعم البال و هو بين ذل مشاع ، و شرف مستباح ، إنه لا يدعه يمشى ضاحكا مختالا ، و قد صار موضع السخرية والنكتة والشماتة فى محيط العالم كله ، فهو مهما نسى أو تناسى جهل أو تجاهل ، أصبح اليوم بلا وزن ، و لا صوت ، و لا ثقل على سياسة منطقته الخاصة فضلا عن السياسة العالمية ، لا حول له و لا طول فى مجرى الأحداث فى بلده فضلا عن بلاد غيره ، تخطط سياسته فى البيت الأبيض أو الكرملين ، و تصمم معارفه و تربيته وثقافته فى جامعات لندن و باريس كما تصمم الأزياء ، فهو يستورد الثقافات والأفكار والاتجاهات كما يستورد الأقمشة و الصابون والعطور ، و يستعمل آدابها كما يستعمل آلاتها و أدواتها من غير أن يفهم الفرق الهائل بينهما ، حتى إن شرور الحضارة المعاصرة وحيرتها ، وضياعها ، وقلقها ، وإفلاسها و عارها لا يمنعه عن سيره الحثيث و ركضه المجنون نحو ملذاتها الخيالية ، و منافعها الوهمية « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء » .

إن هذه المناسك التى يؤديها المؤمن فى الحج ، والوقفات التى يقفها فى حرمه و فى مشاعره ليست أشكالا و طقوسا مجردة من كل روح ، خالية عن كل معنى ، إنها بطبيعتها تبعث المؤمن بعثا جديداً ، وتمنحه قسطا جديداً من الحياة ، وتنقذه من أوزار المجتمع المادى الضيق المرسوم الذى



عاش فيه زمناً طويلا ، فألفه ولم يرض عنه بديلا ، كالحشرات التى تألف الآجام والأحراش والأوحال والجداول والأنهار فلا تريد أن تخرج من عالمها الصغير المألوف ، فاذا بالحج يحطم سائر هذه الأغلال والاثقال ، و يهدم سائر الحدود و السدود والقيود ، و إذا هو يقف به - من غير درس طويل وتربية طويلة - فى عالم جديد يختلف عن عالمه القديم الشاحب الكئيب كل الاختلاف كما يختلف عالم الجنين الصغير عن هذا العالم المادى الكبير .

إن البيت العتيق هو - فى الواقع - محور المسلم الذى تدور حوله رحى الحياة « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » فلهم أن يسيحوا فى الأرض ، و يبتغوا من فضل الله ولهم أن يشتغلوا بما طاب لهم من أشغال و وظائف و أعمال ، و خدمات و نشاطات ، و جهود فى الحدود التى رسمها الاسلام ، و لكن عليهم أن يلجأوا أخيراً و فى نهاية الشوط إلى هذا البيت ، كالطفل الصغير الشريد الذى يرتمى إلى أحضان أمه و كنف أبيه أو كالعبد الآبق على عتبة سيده ضارعاً إلى رب البيت ، نائحاً على تمرده و عصيانه ، و جحوده و كفرانه ، و غفلته و نسيانه .

إن التحديات السافرة التى يواجهها المسلمون فى هذه الأيام تتطلب أن يجددوا صلتهم بالبيت ، لا على صورة تقاليد جامدة ، وأشكال فارغة ومظاهر جوفاء بل على صورة مصدر حياة ، ومنبع قوة ، ومعين لا ينضب من تجديد الصلة بالله والرجوع إليه فى السراء والضراء ، والشدة والرخاء .

إن جميع النشاطات التى نزاولها ، والجهود التى نبذلها ، والمؤسسات التى نقيمها ، و البنايات التى نشيدها ، والجمعيات التى نؤسسها ، والمخططات التى نصممها ، خطيرة و هامة ، و نافعة و مباركة ، لا ينكر فضلها ، و لا يستهان بقيمتها ما دامت متصلة ببيت الله الحرام ، ما دامت ترى فيه بقاء

حياتها ، و إيمانها و نجاتها ، و ما دامت تقوم أساليبها و مناهجها على هديه و نوره و ما دامت تعظم شعائر الله « و من يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » .

أما إذا غرتنا مظاهر الحياة الخلابة التى تولدت من استعمال الآلة والأداة ، أما إذا بهرت أبصارنا تقلب الذين كفروا فى البلاد ، و بدأنا نطمع فيما آتاهم الله من زخارف ومباهج وملذات ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا و تزهق أنفسهم و هم كافرون .

أما إذا استصغرنا شأن البيت العتيق - لا سمح الله - و ازدريناه ، و فضلنا عليه ما أحدثناه من طوابق و شقق و فنادق فاخرة ، مجهزة ، مزودة بأحدث التسهيلات ، و وسائل الترف و النعيم . أما إذا احتقرنا رسالة الحج مقابل نظريات باطلة ، و أفكار سامة ، و آداب فاسقة ، و حياة ماجنة جاءت إلينا من الغرب ، أما إذا أصبحنا نحاكى موضاتهم و تقاليدهم و آدابهم ، و سخافاتهم و تتساقط عليها كما يتساقط الجائع والمحروم على المائدة ، فمعنى هذا أن صلتنا بهذا البيت العتيق قد ضعفت ، و أننا بحاجة قبل كل شئ إلى أن نجددها ، و نغذيها ، و نحدب عليها ، ونحرسها من كل سوء ، و نتخذ لذلك ما يلزم من تدابير حكيمة ، واجراءات حازمة و معالجة دقيقة للقضايا ، و مراعاة لائقة بالطبائع والحاجات ، و الأذواق و المعارف .

فذلك وحده هو الطريق الآمن المضمون إلى المستقبل الزاهر السعيد الذى أصبح حلما لدى الشباب المسلم منذ زمن بعيد ، فهل يتحقق هذا الحلم وهل تكون حجتنا هذا العام افتتاح عهد جديد ، و نواة انقلاب فى التفكير و الميول و الرغبات و الأشواق ؟ و هل نحن مستعدون لتصحيح مسيرتنا من الفوضى إلى الانسجام ، و من التخبط فى الظلام إلى نور الايمان و عدل الاسلام ؟ ؟

محمد الحامى

# التوجيه الإسلامي

# القرآن شرف هذه الأمة وبهاؤها

سماحة الشيخ المحدث محمد زكريا الكاندهلوى

١ - عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : إن لكل شئ شرفاً يتباهون به و إن بهاء أمتى و شرفها القرآن » . ( رواه فى الحلية ) .

إن الناس يعتزون و يتمجدون بآبائهم و أجدادهم و أسرتهم و إن شرف و وسيلة افتخار هذه الأمة هو الكلام الالهى و قراءته وحفظه وتعلمه والعمل به ، بل كل ما يتصل به هو سبب للافتخار ، و لم لا ! فانه كلام الحبيب ، و أمر السيد والمولى فلا يساوى فى هذا الشرف أكبر شرف الأرض ثم إن جميع الكمالات وأسباب الشرف الدنيوية زائلة يوماً آجلا او عاجلا و لكن شرف القرآن شرف دائم و خالد لا ينتهى ، و يكفى كل وصف مهما صغر ، من أوصاف القرآن للافتخار ، فضلا عن كونه جامعاً وكاملا للأوصاف المتعددة ، مثل حسن التأليف ، وحسن السياق ، وتناسب الألفاظ ، و ارتباط الكلام ، والاعلام بالأحداث الماضية والقادمة و لوم الناس بما لا يستطيعون أن يكذبوه و لو أرادوا ذلك ، كعدم استطاعة اليهود لتمنى الموت رغم دعواهم للمحبة ، و تأثر الناس بما يسمعونه وعدم سآمة من القراءة ، فان تكرار أى كلام مهما كان محبباً إلى القلوب



مثل رسالة الحبيب الذى يفتتن به ، يورث الكلل فى النفس إذا قرئت عشر أو عشرين مرة ، أو أربعين مرة على الأكثر ، فانه لا محالة يكل و يسأم منها ، ولكن خذ أى مجموع آيات من القرآن ، واقرأه مائتى مرة أو أربع مائة مرة ، ثم واظب على تلاوته طول حياتك ، فلا تكل ولا تمل ، و إذا اعترض شئ فانه سيكون مؤقتاً ، و سيزول قريباً ، وكلما كثرت من قراءته تجددت لك الطراوة ، والحلاوة ، واللذة ، و هذه هى الأمور التى إذا وجد وصف واحد من أوصافها فى أى كلام ؛ ولم توجد بكاملها ، فانه سيكون مبعث افتخار ، و مدعاة للعزة ، فاذا وجد فى كلام جميع هذه الصفات على وجه الكمال ، فكم يكون هذا الكلام باعثاً على الافتخار و معجزاً ؟ فلنفكر بعد ذلك فى أحوالنا لحظة ، فكم منا من يفتخر بكونه من حفاظ القرآن أو ينظر إلى حافظ القرآن بعزة و شرف ، فاننا نفتخر ونتباهى بالشهادات العلمية العالية والألقاب والعظمة الدنيوية وحياتها والمتاع الذى يسلبه الموت ، فالى الله المشتكى .

التلاوة نور فى الأرض و ذخر فى السماء :

٢ - عن أبى ذر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أوصنى قال عليك بتقوى الله ، فانه رأس الأمر كله ، قلت يا رسول الله زدنى قال عليك بتلاوة القرآن . فانه نور لك فى الأرض و ذخر لك فى السماء » . ( رواه ابن حبان فى صحيحه فى حديث طويل ) .

إن التقوى فى الحقيقة أساس لجميع الأمور ، فاذا وجد فى أى قلب خوف الله لا يصدر منه معصية و لا يواجه أى نوع من العسر و الضيق « و من يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب » .

علم من الروايات السابقة أن التلاوة نور ، و قد ذكر فى شرح الاحياء عن أبى نعيم أن باسطاً ذكر عن النبى ﷺ أن البيوت التى يتلى فيها القرآن الكريم ، تلمع لأصحاب السماء كما تلمع لأصحاب الأرض كواكب السماء ، و قد ذكر هذا الحديث فى الترغيب و غيره من الكتب الأخرى إلى هذا الحد ، ولكنه حديث مختصر ، أما أصل الرواية فانها طويلة ذكرها الملا على القارئ عن ابن حبان و غيره من المحدثين بالتفصيل ، و نقلها السيوطى باختصار و لو أن هذا الجزء من الحديث يناسب هذا الموضوع الذى يعتنى به هذا الكتاب إلا أن الحديث بكامله هام و مفيد و يشتمل على مواضع هامة فننقل الحديث بكامله .

« عن أبى ذر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله ماكانت صحف إبراهيم قال : كانت أمثالا كلها ، أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكن بعثتك لتردعنى دعوة المظلوم فانى لا أردها و لو كانت من كافر » يقول العبد الفقير إن رسول الله ﷺ كان عند ما يؤمر أحداً من أصحابه أو يستعمله ينصحه بين نصائح أخرى « واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها و بين الله حجاب » .

وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ثلاث ساعات يناجى فيها ربه ، ساعة يحاسب فيها نفسه ، و ساعة يتفكر فيها من صنع الله تعالى ، و ساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم و المشرب ، و على العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا لثلاث ، تزود لمعاد أو لمرمة لمعاش ، أو لذة فى غير محرم ، و على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلا على شأنه ، حافظاً للسانه ، و من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه ، قلت يا



رسول الله فما كان صحف موسى ؟ قال « كانت عبراً كلها » .

عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح ، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك ، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب ، عجبت لمن رأى الدنيا و تقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها ، عجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل » .

قلت : يا رسول الله أوصنى ، قال : « أوصيك بتقوى الله فانها رأس الأمر كله » قلت يا رسول الله زدنى ، قال « عليك بتلاوة القرآن و ذكر الله تعالى فانه نور لك فى الأرض وذخر لك فى السماء » قلت يا رسول الله زدنى ، قال « إياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ويذهب بنور الوجه » .

قلت يا رسول الله زدنى قال « عليك بالجهاد فانه رهبانية أمتى » قلت يا رسول الله زدنى ، قال « أحب المساكين وجالسهم » قلت يا رسول الله زدنى . قال « انظر إلى من هو تحتك و لا تنظر إلى من هو فوقك ، فانه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عندك » قلت يا رسول الله زدنى ، قال « ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك و لا تجد عليهم فيما تأتى و كفى بك عيباً أن تعرف من الناس تجهله ما من نفسك وتجد عليهم فيما تأتى » ثم ضرب بيده على صدرى ، فقال يا أبا ذر « لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق » (١) .

تلاوة القرآن و دراسته تجلب السكينة و الرحمة :

٣ - عن أبى هريرة رضى الله عنه إن رسول الله ﷺ قال « ما اجتمع

(١) المرقاة .

قوم فى بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة و ذكرهم الله فيمن عنده » ( رواه مسلم و أبو داؤد ) .

وردت فى هذا الحديث فضيلة الكتاتيب والمدارس بصفة خاصة التى تشمل أنواعاً كثيرة من الاكرام ، وكل نوع من هذا الاكرام يبلغ من الأهمية مبلغاً يكون رخيصاً إذا حصل بتضحية الحياة بكاملها ، فضلا عن الحصول على نعم متعددة مثله ، و خاصة الفضيلة الأخيرة و هى ذكر الله فيمن عنده ، فهو نعمة من نعم الله التى لا يمكن أن يقارن بها أى شئ آخر .

و ورد ذكر نزول السكينة فى الروايات المتعددة ، و قد ذكرت فى تصديقه أقوالا متعددة للمحدثين ، ولا يوجد فيه خلاف يثبت به التعارض بل إنه يمكن أن يراد به مجموعة جميع الأقوال ، فروى عن على - كرم الله وجهه - فى السكينة أنه ريح خاصة وجهها مثل وجه الانسان ، و روى العلامة سدى - رحمه الله - أنه اسم لطاسة فى الجنة ، مصنوعة من الذهب تغسل فيها قلوب الأنبياء ، وقال بعض إنها رحمة خاصة ، وقد آثر الطبرى أن المراد منها سكينة القلب ، و قال آخرون أن المراد بها الطمأنينة ، و فسرها الآخرون بالوقار ، و قال البعض إنها الملائكة ، و فيها أقوال أخرى ، و قال الحافظ فى فتح البارى : إن السكينة تنطبق على الجميع ، ويرى النووى إنها شئ يجمع الطمأنية والرحمة ، وتنزل مع الملائكة ، وقد جاء فى القرآن الكريم « فأنزل الله سكينته عليه » و قال فى موضع آخر « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين » و فى موضع آخر « فيه سكينة



من ربكم » ووردت عدة آيات فى ذكرها و بشرت عدة روايات بها .

و حكى صاحب الاحياء أن ابن ثوبان - رضى الله عنه - وعد أحد أقربائه بأن يفطر معه ، و لكنه وصل فى اليوم الثانى عند الصبح ، فشكى قريبه إليه فقال لو لم أكن وعدتك به لما قلت لك ، ماكان المانع ، فقد تأخرت بغير قصد ، حتى جاء وقت صلاة العشاء ، فدار بخلدى أن أصلى الوتر مع صلاة العشاء ، لأن الموت ليس ليطمئن به ، لعلى أموت فى الليل ، فتفوتنى و إذ كنت أقرأ دعاء القنوت ، رأيت حديقة خضراء فى الجنة ، كان فيها كل نوع من الزهور ، فشغلت بها حتى أصبحت ، وقد رويت مآت من مثل هذه القصة التى تذكر أحوال الصالحين ، و لكنها تظهر فقط عندما يتم الانقطاع عن ماسوى الله ، و تتم الانابة إليه وحده .

تفيد روايات متعددة بحف الملائكة فوردت قصة مفصلة لأسيد بن حضير - رضى الله عنه - فى كتب الحديث أنه أحس عند تلاوة القرآن كأن ظلة تخيم عليه ، فقال النبى ﷺ تلك الملائكة دنت بصوتك ، فكانت الملائكة لكثرة الازدحام تبدو مثل السحابة ، و أحس صحابى آخر بسحابة ، فقال النبى ﷺ إنها السكينة ، أى الرحمة التى تنزل للقرآن ، و قد ذكر صحيح مسلم هذا الحديث بمزيد من التفصيل ، و فيه مواضع أخرى ، وفى ختام الحديث أضيفت هذه الجملة : من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، فان أى صاحب نسب شريف متورط فى الفسق و الفجور لا يستوى فى أى حال من الأحوال هو و مسلم رذيل و منحط النسب ، إذا كان صالحاً و تقياً « إن أكرمكم عندكم الله أتقاكم » .

أفضل ما يتقرب به إلى الله :

٤ - عن أبى ذر قال قال رسول الله ﷺ إنكم لا ترجعون إلى الله بشئ أفضل مما خرج منه يعنى القرآن » ( رواه الحاكم و صححه أبو داؤد ، فى مراسيله عن جبير بن نفير والترمذى عن أبى أمامة بمعناه ) .

تأكد من عدة روايات أنه لا يتقرب العبد إلى الله تعالى بشئ أكثر مما يتقرب منه بالقرآن الكريم ، وقال الامام أحمد بن حنبل « رأيت الله عز وجل فى المنام فقلت يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك فقال بكلامى يا أحمد ، قال قلت بفهم أو بغير فهم ، قال بفهم أو بغير فهم » (١) فان كليهما موجب للتقرب ، إن توضيح هذا الحديث الشريف و شرح كون التلاوة أقرب و أفضل طريق للوصول إلى الله سبحانه مستنبط من تفسير بقية السلف حجة الخلف الشيخ عبد العزيز الدهلوى بن الشيخ ولى الله الدهلوى - نور الله مرقدهما - و حاصله أن السلوك إلى الله أى مرتبة الاحسان هى استحضار الله سبحانه و تعالى فى القلب والذى يمكن حصوله بثلاثة طرق ( الأول ) التصور الذى يعرف فى عرف الشرع بالتفكير والتدبر ، و عند المشايخ بالمراقبة ( الثانى ) ذكر اللسان (الثالث) تلاوة القرآن الكريم ، و حيث إن الطريقة الأولى هى ذكر القلب فبقى طريقان : أولها الذكر العام ، سواء كانت ذكراً قلبياً أو لسانياً ، والثانى ، التلاوة فكل لفظ يطلق على الله سبحانه و تعالى و يكرر مرات ، و هو حاصل الذكر ، فانه يسبب فى التوجه و الالتفات إلى هذه الذات للدركة فكأن هذه الذات تكون مستحضرة و الاستحضار الدائم هو المعية ، و هى

(١) إحياء علوم الدين .



التى يعنيها هذا الحديث القدسى « لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحببته فكنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها » ( الحديث ) يعنى الحديث الشريف ، أن العبد إذا تقرب إلى الله بكثرة العبادة فيصبح الله تعالى حامى أعضائه وتصبح الأذن والعين وغيرهما من الأعضاء الأخرى تبعاً له ، و ذكر كثرة التطوع من العبادات لأن العبادات المفروضة محدودة و معينة فلا يمكن أن يضاف إليها أو يزاد فيها والشرط فى ذلك هو دوام استحضار كما علم ، ولكن هذه الطريقة للتقرب خاصة لذات ذلك الحبيب وحده فاذا أراد أحد أن يسبح لاحد غيره ثم يحصل له ذلك التقرب فهو مستحيل ، لأنه يشترط لمثل هذا التقرب أن يوجد فيمن يراد التقرب إليه شيئان ، أحدهما أن يكون عليه محيطاً لأذكار الذاكرين القلبية واللسانية ولو ذكره فى مختلف الأزمان ومختلف الأوقات ، والثانى أن يكون قادراً على التجلى فى إدراك الذاكر و شغله ، وحيث إن هذين الشرطين لا يتوافران إلا فى هذا وحده . فلا يمكن حصول التقرب بالطريق المذكور إلا بهذه الذات ، و إليها يشير الحديث المذكور « من تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ( الحديث ) إن هذه التشبيهات كلها للتفهم فقط و إلا فان الله سبحانه و تعالى متبرئ عن المشى وغير ذلك من الأعمال الأخرى ، فالمقصود من ذكر هذه التمثيلات الاظهار أن الله سبحانه و تعالى يتوجه و ينزل إلى من يذكره و يلتمسه أكثر من طلبهم وسعيهم و لم لا يشرفهم بنزوله فانه اقتضاء لكرم الكريم ، فاذا كان فى ذكر الذاكرين دوام ، كان فى توجه و نزول المولى الكريم دوام ، و لما أن الكلام الالهى ذكر كلياً و لا تخلو آية من آياته من الذاكر و التوجه

إلى الله فوجدت هذه الصفة فيه أيضاً ، ولكنه يتميز بصفة خاصة و تزيد التقرب و هى أن كلام يحمل فيه صفات المتكلم و أثره و مما يشاهد أن تكرار أشعار الفساق والفجار تحدث أثراً خاصاً ، وأشعار الأتقياء البررة تحدث آثاراً أو ثماراً أخرى ، و لذلك يحدث الغلو فى دراســة المنطق والفلسفة فى القلب النخوة والكبر وتحدث كثرة مزاولة الحديث الشريف التواضع و يتساوى فى ذلك الفارسية و الانجليزية من حيث اللغة ، ولكن المصنفين الذين تدرس كتبهم يخلفون آثاراً مختلفة على الدارسين من حيث اختلافهم فتترتب ثمارهـا عليهم ، و خلاصة القول إن الكلام يحمل آثار المتكلم فلابد من أن يؤلد تكرار الكلام الالهى و إعادته آثار متكلمه فى قلب القارئ ، والمناسبة الطبيعية معــه ، ثم إن من عادة كل مصنف أن يميل طبعاً إلى من يهتم بتأليفه ويلتفت إليه بجراء جبلته ، فمن البديهى إذاً أن تميل العناية الالهية إلى من يردد الكلام الالهى ويتدارسه وهو فى حد ذاته سبب للتقرب ، وليرزقنى الله المولى الكريم وإياكم هذا اللطف الكريم .

# سلطان الثقافة الغربية
# على
# الفكر الاسلامى المعاصر

الأستاذ محمد المبارك

[ ٢ ]

إن الثقافة الغربية التى قابلها العالم الاسلامى كانت نتيجة تفاعل عناصر متباينة أدى إلى الشكل الذى برزت و عرفت فيه فهى مؤلفة فى الأصل من عنصر يونانى قدم لهـا التفكير العقلى التأملى و ما تولد عنه من فلسفة و عنصر رومانى قدم لها الوثنية والمادية والاستعمار ، وعنصر مسيحى قدم لها الايمان بالعقيدة الدينيــة النصرانية التى امتزجت بالوثنية الرومانية من قبل والقيم الخلقية و عنصر إسلامى قدم لها العلوم و الرياضيات و المنهج التجريبى فى العلوم مع فلسفة الالهيات التى ولدها العقل الاسلامى وصاغها صياغة خاصة بعد اطلاعه على الفلسفة اليونانية لقد حصل بين هذه العناصر تصارع وتفاعل أدى إلى النتائج التالية :

أ — تقدم فى الرياضيات و فى العلوم المتعلقة بالكون ( بالطبيعة ) .

ب — تقدم فى تطبيقاتها العملية و الصناعية .

ج — خروج من الفكر المقلد الناقل إلى الفكر المتحرر المبدع .

د — انحسار تدريجى للايمان المسيحى الذى كان مشتملا على تناقضات عقلية و للقيم الخلقية المسيحية القائمة على مقاومة الفطرة .

٥ — حلول فلسفات مادية و الحادية تدريجياً محل المسيحية فى المجالين الفلسفى و الأخلاقى .

و المهم فى كل هذا أن الثقافة الغربية انتهت من تفاعل العناصر المكونة لها و تصارعها و تزاحمها إلى ارساء أسس لفلسفة انبثقت عنها مهما تكن الصيغ المختلفة التى صيغت بها بعد حصول النتائج التالية :

١ ـ التفكير العقلى فى الكون المستند إلى فكرة السببية والسنن المطردة و نستطيع أن نجزم أن هذا العنصر الهام من عناصرها ماخوذ مباشرة من الفكر العلمى الاسلامى وهو مقترن طبعاً بالمنهج التجريبى الحسى الآتى من المصدر نفسه .

٢ ـ انهزام أو على الأقل انحسار الفكر الدينى المسيحى القائم جذريا على فكرة التثليث و وراثة الخطيئة الاولى بقوة دفع التفكير العقلى الآتى من المصدرين اليونانى والاسلامى معاً وكان رد الفعل ضد المسيحية شديداً إلى درجة الاندفاع إلى الجهة المتطرفة و هى إلغاء الايمان و محاولة تطبيق المنهج الحسى التجريبى أو المنهج المطبق على الطبيعة خطأ فى مجال الالهيات و ما وراء الطبيعة و العودة إلى بعض الفلسفات اليونانية الملحدة كفلسفة بيركليس ذلك أن العصبية على الاسلام كانت تحول دون الأخذ بوجهة النظر الاسلامية فى التفكير الدينى و العقيدة و كان هذا الانحسار كما سميناه تدريجيا فى الحقيقة فكان ابتداء موجة الشك والالحاد بداية القرآن الثامن عشر و بلغت أوج قوتها فى القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين .

٣ ـ انهزام القيم الخلقية الدينية بسبب تزمت المسيحية السائدة فى أوربا و قيامها على أساس مقاومة الفطرة و الغرائز الطبيعية و بالتالى مقاومتها



للنمو الحضارى المادى الذى انطلق بانطلاق الصناعة الكبرى و بسبب العودة إلى الفلسفات اليونانية التى تقوم على أساس الطبيعة أو على أساس اللذة كفلسفة أبقور .

على أساس هذه النتائج ظهرت فلسفات جديدة قامت عليها هذه الثقافة الغربية الحديثة و ترجع كلها فى الحقيقة إلى فلسفة واحدة و أسس مشتركة ، لقد ظهرت على التوالى الحركات الفكرية التى عرفت بالعناوين أو الاسماء التالية خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر :

المذهب الطبيعى ( Maturalisme ) و اشتهر خصوصاً فى ميدان الأدب والمذهب العقلى والعقلانى ( Rationlisme ) وهو المذهب الذى يعتمد حصراً على العقل أو التفكير الذهنى ، و اشتهر خصوصاً فى الميدان الفلسفى و المذهب الوضعى ( Positivisme ) وهو المذهب الذى يعتمد حصرا على بحث ما يدخل فى نطاق الحس والتجربة وقد اشتهر فى المجالين الفلسفى و العلمى والمذهب المادى ( Materiasme ) وهو الذى يحصر نطاق الوجود و بالتالى نطاق المعرفة بالمادة وحدها ، و قد اشتهر أيضاً فى المجال الفلسفى بفروعه المختلفة المشتقة من الفلسفة و ليست الماركسية أو مذهب ماركس إلا فرعان من فروع هذا المذهب أو صيغة من صيغه ، إن هذه المذاهب كلها متداخلة و متلاقية وليست متعارضة وقد انتهت إلى فلسفة واحدة بالجملة للثقافة الغربية أو إلى فلسفات متقاربة و متشابهة هى جوهر هذه الثقافة و منطلقها الأساسى و الأصل لكل ما تفرع منها من نظريات و مفاهيم وعلوم انسانية ، ويمكن أن نلخص هذه الأسس الفلسفية المشتركة بما يلى :

١ ـ الوجود المعتبر عملياً وعقلياً هو الكون الحسى المترامى الأطراف أو الطبيعة بتعبير آخر و كل ما سواه أما أن تنكر هذه الفلسفة وجوده أصلا و أما أنها ترى إغفاله وإهماله و اعتباره كأن لم يكن والأرض التى يسكنها الانسان جزء من هذا الكون والانسان حيوان من أحيائها و يمتد فى أصله إلى أحد أنواعها فهو حيوان متطور يمتاز بالذكاء و ليست الحضارة المادية و المعنوية إلا مكاسب حصل عليها نتيجة تطوره و كذلك خصائصه المعنوية التى تقول بها الفلسفة الديمقراطية من الحرية و الكرامة الانسانية إلا ضربا من هذه المكاسب ، و أما الفلسفة الماركسية فلا تعتبره أكثر من خيوان متطور منتج من جهة وفرداً من قطيع من جهة أخرى يسير بسيره و يأتمر بأمره .

٢ ـ الاقتصار فى الوصول إلى الحقائق نتيجة للتصور السابق على المنهج الحسى التجريبى .

٣ ـ انكار وجود الآله الخالق كنتيجة لتصور الوجود الذى أخذت به الفلسفة الغربية وهذا هو ما أخذت به الفلسفات المادية الالحادية كالماركسية أو إغفال وجوده و إقصاء تدخله على الأقل كما فعلت بعض الفلسفات الموصوفة بالعقلية والمثالية ( Idealistes ) و يتبع ذلك لزوما انكار كل ماوراء العالم الحسى مما يمكن أن نطلق عليه عالم الغيب و الغيبيات أو عالم الروح أو عالم ما وراء الطبيعة ( ميتافيزك Metaphystque ) كالروح والآخرة والوحى و النبوة

ليس بحثنا الآن متجهاً إلى مناقشة هذه الفلسفة و الرد عليها حتى بالاستناد إلى أسلوبها ـ و مسلماتها و لكن ما نريد أن نقوله هنا هو أن



الثقافة الغربية سواء أصبغت فى فلسفة ديمقراطية تجعل للفرد الانسانى قيمة و حرمة تعترف له بصفات مثاليـة أو معنوية أم صيغت فى فلسفة مادية ماركسية تعتبر ( الجماهير ) هى الوحدة الأساسية و (الانتاج والاستهلاك) يعطيانه الصفة الأساسية للفرد الانسانى إن هذه الثقافة الغربية على اختلاف ألوانها تسير فى المسالك الفكرية التى وضعناها وتتحدد بالمعالم التى حددناها .

فهى تنكر الآله الخالق أو تغفله و تنكر النبوات و تجحدها و تنكر الحياة الخالدة الأخرى و جزاءها و تحذفها من حسابها و بالتالى لا تعتبر الفضائل و لا القيم الأخلاقية إلا فى حدود تصويرها .

فالفضائل وقائع و حوادث و مصالح و منـافع ، و بذلك تسف الثقافة الغربية الحديثة ولأول مرة فى التاريخ صعيدا التقت عليه الانسانية خلال قرون و أجيال ورصيدا توارثته خلال العصور وهو صعيد الايمان بالله الخالق الذى يلتقى عليه عباده وصعيد الفضائل و الأخلاق و تراث النبوات المتعاقبة وتعاليمها الأخلاقية .

و لو أن الأمر كان مقصوراً على مجرد نظريات فلسفية لكانت الكارثة أخف و أهون ولكن النتيجة الخطيرة فى عواقبها هى أنه من هذه الأسس الفلسفية المشتركة للثقافة الغربية انطلقت جميع العلوم النظرية الانسانية وانبثقت جميع الأنظمة الاجتماعية من أسرية و اقتصادية و سياسية و غيرها وإليكم بيان ذلك :

١ ـ إن العلوم المتعلقة بحياة الانسان المادية والمعنوية الفردية والاجتماعية لعلم النفس والاجتماع والتربية و سائر فروع الفلسفة و الحقوق و الآداب والفنون والأخلاق إنما بنيت على مفاهيم هذه الفلسفة واتجاهاتها .

فعلم النفس إنما بنى على تصور الانسان - الحيوان ذى الغرائز و الميول المادية .

وعلم الاجتماع إنما بنى على أساس أن الدين ظاهرة اجتماعية حسية كغيرها وإن الآله فكرة تعللها كل نظرية اجتماعية على طريقتها على أساس أنها فكرة طارئة فى حيـــاة البشر الاجتماعية لا على أساس أنها تتضمن حقيقة خارجية .

كما بنى على أساس نسبية الأخلاق و واقعيتها فلا مثالية و لا فضائل إلا باعتبارهما وقائع .

والفلسفة التى أصبحت بعد انفصال العلمين السابقين والحاق الاخلاق بعلم الاجتماع قسمين احدهما نظرية المعرفة وهى تقوم على حصر موضوعاتها بالعالم المادى وطرقها بالمنهج الحسى التجريبى وثانيهما ما وراء الطبعة الذى أصبحت مباحثه شكا و نفيا لمـــا وراء الطبيعـــة بل أهملتا إهمالا يكاد يكون تاما .

و التاريخ يصور بالدرجة الأولى تاريخ الحضارة المـــادية للانسان ويضع فى الدرجة الثانية الأديان و تاريخها وينظر إليها على أنها ظاهرات إنسانية اجتماعية يعلل نشؤوها بعلل و أسباب طبيعية و لا يهتم كثيراً بأثرها الحضارى بل إن الماركسية تعلل جميع الظاهرات المعنوية وغير المادية بتعليلات مادية اقتصادية ، عدا ما فى عرض التاريخ فى الثقافة الأدبية من روافع العصبية إذا كان الموضوع متعلقاً بالاسلام و تاريخه .

و الحقوق و التشريع القـانونى مبنية على الوافع الذى تصطلح عليه الشعوب وليس ثمة حق مطلق وقد فصلت الحقوق نهائياً عن الدين بسبب



أن المسيحية خالية من التشريع وإن التشريع الكنيسى أكثره وضع بشرى حاول أصحابه الزام الناس به فكان رد الفعل فصل الحقوق عن الدين و الأخلاق معاً و التربية و جميع نظرياتها فى الثقافـــة الحديثة مبنية على التصور المادى للانسان اجمالا و على تحقيق أهداف المجتمع المادى المعاصر و ليست الأخلاق فيه إلا تنظيما اجتماعياً آليا و ليس العقل و الذكاء إلا خادمين لأغراض المجتمع المادى زد على ذلك أن المذاهب الجماعية الكلية القائمة على فكرة الجماهير كالشيوعية تروض الفرد و تربيه ليكون آلة بيد الدولة الممثلة فى زعمها للشعب والجمهور و أما الجانب الخلقى الروحى من الانسان فلا مكان له فى التربية فى اطار الثقافة الغربية بالرغم من صيحات الكثيرين منهم أمثال الكسيس كاريل الفرنسى وألدوس هكسلى الانكليزى حتى برتراند راسل .

والدين أخيراً لا يعرض إلا على أنه دراسة لظاهرة تاريخية مضت لا كحقيقة حية لأنهم بين منكر له أصلا ، و قائل بفصله عن الحياة العامة الاجتماعية .

و الأخلاق لا تعطى أو تلقن فى المدارس بهدف تنميـــة الضمير الانسانى وأبعد من ذلك أن لا تنطلق من العقيدة الدينية التى أقصيت منذ مدة طويلة عن الساحة العامة و لا يقصد بالأخلاق تنمية الفضائل الذاتية فهذا المعنى قد تركته الثقافة الغربية منذ عهد بعيد ، و إنما قلبت الأخلاق إلى فكرة انسجام الفرد فى اطـــار المجتمع بصرف النظر عن فكرة الخير و الشر و أصبحت ضربا من التنظيم الاجتماعى و الترويض لهذا الغرض و من جهة أخرى تدرس ( الأخلاق ) باعتبارها فرعا من فروع علم

الاجتماع و باعتبـــار الفضائل و الرذائل و القيم الخلقية ظواهر اجتماعية نسبية تختلف من بلد إلى بلد و من عصر إلى عصر فليس ثمة فى زعمهم - كما يقول أحـــد أساطين مذهب دركهايم الاجتماعى و هو ابق برول اليهودى - مثل أعلى إنما هو الواقع الذى يخيل لأصحابه أنه مثل أعلى .

هذه صورة موجزة وسريعة عن المنطلقات التى انطلقت منها أنواع العلوم المتعلقة بالانسان و المبنيـــة على أساس التصور الحيوانى المادى لهذا الانسان ، و قد كان كبار المتخصصين بل المنشؤن لهذه العلوم و السائرون بها فى هذا الاتجاه أكثرهم من اليهود أمثال دافيد هيوم دركهايم و فرويد و ماركس . . والملتفون حولهم و المتأثرون بهم .

٢ - إن النظم الاجتماعية السياسية والاقتصادية و غيرها إنما بنيت على المفاهيم الأساسية للثقافة الغربية وعلى فلسفتها على اختلاف تفرعاتها فالنظام الديموقراطى ( التمثيلى النيابى ) إنما بنى على أساس حرية الانسان المطلقة التى لا تقيد فى الأصل بأى قيـــد أخلاقى أو دينى بشرط التنسيق بين الأفراد أو فى الحقيقة مراعاة الأكثرية فلو اتفق الأفراد أو أكثرية المجلس الذى يمثلهم (مجلس النواب ) على استحلال جميع الرذائل المتصورة لكان هـذا الأمر سائغاً فى مفهوم هذا النظام لأن الانسان سيد نفسه فى التصور الديمقراطى الغربى و الحرية الفردية لا حد لها ولو أدت إلى حرية الرذيلة والاباحية والحرية الاقتصادية ولو أدت إلى الظلم ، والنظام الشيوعى قائم على تأليه الانسان أيضاً ولكن فى صورة جمهور لا فرد بل فى الحقيقة فى صورة هيئة حزبية تقيم نفسها مقـام الوكيل النائب عن الجمهور فينشأ عن ذلك استبداد و بطش و تسلط لا حد له كما حـــدث فعلا فى البلاد



الشيوعية وبالجملة نستطيع أن نقول أن النظام الديمقراطى السياسى والرأسمالى الاقتصادى المتلازمان والديكتاتورى الاستبدادى والاشتراكى المتلازمان أيضاً كل هذه الأنظمة مبنية على الثقافة الغربية و فلسفتها والحضارة التى عاشت و ترعرعت فى كنف هذه الأنظمة و الحياة الاجتماعية و الثقافية كذلك تنهل كلها من معين واحد و تصور واحد و فلسفة واحدة .

ولا شك أنه قد تولد عن الثقافـــة الغربية فوائد و مكاسب كبيرة للبشرية و لكنه تولد عنها أيضاً مصائب و مآسى و آثار سيئة حتى كان اثم هذه الثقافة والحضارة المتولدة عنها أكبر من نفعها وليس هذا مكان عرض هذه النتائج السيئـــة و يكفى أن نذكر أسماء اعلام غربيين نادوا فى عصور و بلدان مختلفة بهذه النتيجة و اعتبروا أن انسـان الغرب ليس فى تقدم بل فى تقهقر يكفى أن نذكر شينجلر الألمانى والدوس هكسلى الفيلسوف المفكر والأديب المفكر كولن الانكليزين والكسيس كاريل الكيمياوى المفكر الفرنسى ويكفى أن نذكر أن ظاهرات القلق والخوف والتشرد الناشئ عن الزنى والاجرام الفردى والمنظم و استعمال المخدرات و ادمان السكر وتفكك الأسرة والتعذيب الوحشى . . أصبحت ظاهرات منتشرة و متزايدة تزايداً لا يقف عند حد .

بعد هذا الاستعراض لنشوء الثقافة الغربية و عناصر فلسفتها و ما انبثق عنها من علوم وأنظمة وحضارة تنتقل إلى التقاء العالم الاسلامى بها و تأثره بها .

# الدّعوة الإسلاميّة

## الوقاية من « السفه المطبق »

★ فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

إن صدق المسلمين فى تحقيق القيام بمدلولات ( إياك نعبد و إياك نستعين ) يسلك بهم مسالك الرشد فى جميع شؤون حياتهم السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و يرتفع بهم عن جميع أنواع السفه المطبق الذى يشيب صاحبـــه و هو محيط به لا ينفك عنه كما هى الحال المشاهدة فى أكثر الناس هذا الزمان و العياذ بالله ، فان من أهمل القيام بمدلول هذه الأمـــة العظيمة فى النواحى السياسية ضاع رشده فيها و فقد الاستقلال الفكرى و صار مندفعاً أو مدفوعا إلى انتهاج ما يخالف عقيدته الأصيلة ملة ابراهيم مضطراً بتخليه عن مدلول هذه الآية إلى موالاة أعداء الله و أعدائه لمصلحة مادية أو حكمية يراعى بهـا اسناد شخصيته أو شرفه الظاهرى على حساب عقيدته السماوية أو يحتمى بهم هروبا من الخضوع لحاكم إسلامى و قيادة دينية مع أن الكافر لا يراعيه و إنما يراعى مصلحته و العمل على توسيع مذهبه الخبيث ما كان ، و كثيراً ما يجر الانحراف السياسى إلى تبنى القوميات التى هى توليدة اليهود و ربيبة كل مستعمر ، فيفضل الكفار الذين هم من جنسيته و وطنيته على المسلمين الذين ليسوا منها و يواليهم ، فيخـالف ملة إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، و الله يقول : « و من يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه » ويكون بذلك متخلياً

عن القيادة الاسلامية العالمية التى أوجب الله على قادة المسلمين التزامها ، و السعى الدائب فى تحصيلها .

ثم هو أيضاً يكون مناقضا للشهادتين لأنهما يستلزمان حصر المحبة لمن يحبه الله و رسوله ، و حصر البغض كذلك ، و حصر الموالاة و المعاداة لله و فى الله كما قال تعـــالى ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله و لو كانوا آباءهم أو أبنـــاءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم . . ) .

وقد كانت مهمة كل مستعمر على وجه الأرض مهما كان نوعه تركيز القومية و الوطنية بادئ ذى بدئ فى أى أمـــة أو شعب يكون له عليه سلطان فما أسفه من يستجيب لنداء عدوه . و يجعله مسلكا له حتى بعد الخلاص منه رافضاً لنداءات الله مولاه الرحمن الرحيم ، و يستبدل ببضاعة السماء بضائع أرضية ملتقطة من المزابل اليهودية ، ما أبعد هـذا عن الرشد و عن تحصيل وعد الله بالنصر ، بل إنه من سفاهتـه سعى بطلب الذل و شراء الخزى و العار الذى ناله من أمة الغضب و خلائف القردة و الخنازير .

ومن كانت هذه حاله فان مسلكه فى الحرب والسلم يكون بالضرورة مسلكا عصبياً يعود فيه إلى ضروب من الوثنية القديمة و الحديثة ، لأنه يعادى من أجل أهوائه و مصلحته و حدوده الأرضية لا من أجل حدود الله فتكون محاربته و مسالمته فى هذا السبيل ، ويكون حارما لنفسه من مدد الله و نصره ، و حارما لجنده المنخدعين به من تحصيل الشهادة الشرعية فى الاسلام ، لأن المصطفى ﷺ قال : ( و من قاتل تحت راية عمية يدعو



إلى عصبة أو ينصر عصبة فليس منى و لست منه ) و قال : ( من دعى بدعوى الجاهلية فانه من جثى جهنم و إن صلى وصام و زعم أنه مسلم )

فهذه الخطة ليست مناقضة لمدلول ( إياك نعبد . . ) فحسب بل إنها مناقضة للشهادتين اللتين يوجب معناهما حصر الحب و الولاء على ما يحبه الله و يطلبه من أهلهما و حصر الحرب و السلم على إعلاء كلمة الله ، و تنفيذ حكمه فى الأرض و قمع المفترى عليه .

أما من أهل القيام بمدلول ( إياك نعبد وإياك نستعين) فى الشؤون الثقافية فهذا أسفه ممن استبدل اللبن الخالص بالقيح و الدم و الصديد بل هو أحط فى الحقيقة الصحيحة من حالة المجانين مهما لمع اسمـه أو علت مرتبته أو كثرت جولاته و تهريجاته أو افتتن عامة الناس بتقديسه ومحبته إذ لا عبرة بذلك ، فكم من دجال مخبول يسلطه الله فتنة لقوم و عقوبة على قوم آخرين ، و يجول بباطله حتى يكشفه الله بعد حين ، وكم من دجال طائش مهرج تنطلى أكاذيبـه على الجماهير ، بل أكثر ما تنفذ فتنة الدجاجلة فى الجماهير آلاف الجماهير ، لا عقل لها بنص المنقول و تقرير المعقول الصريح ، ولا شك أن من يسمح بمصادرة عقله أحط من المجنون و المصروع حسياً لأنه أوقع نفسه فى سكر معنوى لا يفيق منه أبداً وفى سفه مطبق لا يرتجى له معه رشد أو لخشية تهمته بالمغالاة و الافراط أضرب مثلا برجل تنازل عن سلطانه طوعا بدون اكراه لأسفل الناس أو وهب جميع ما يملكه لرجل لا ينبغى أن يجعله خادما له ، أو فتح محلاته ومخازنه كلها للصوص ثم مشى يستجدى من أعدائه الساخرين به المغرضين له ( يا معشر المسلمين ) أليس من كان على بعض هذه الأحوال قد بلغ

من السفاهة و فقدان التمييز ما لم يبلغه المجنون ؟ فكيف بمن اجتمعت فيه هذه الأمثال السيئة كلها ؟

إن الله سبحانه و تعالى اصطفى أمة الاسلام و اجتباها لحمل رسالته وتوزيع هدايته ، وأوجب عليها أن تكون هى المصدرة دائماً وحرم عليها الاستيراد الثقافى المخالف الوحيه بل حصر منبع التلقى لها على وحيه العزيز فقط من كتابه و سنة نبيه ﷺ ، فلقد غضب ﷺ غضباً شديداً حتى كأنما فقئ فى وجهه حب الرمان حينما رأى مع عمر بن الخطاب أوراقاً من التوراة ، و قال ﷺ : ( أمتهوكون أنتم لقد جئتكم بها بيضاء نقيه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم و تبعتموه و تركتمونى لضللتم ) وفى حديث آخر : ( لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعى ) .

وكل هذا لتصميمه باذن ربه على حصر المنبع الثقافى حتى لا تتبلور أفكار الأمة إذا اختلطت عليها الينابيع ، و كم جرى على الأمة من أضرار حين اختلط منبعها الصافى بالينابيع الأخرى اليونانية و الرومانية و غيرهما من رواسب الوثنية المعششة فى قلوب بعض من أسلم فى القرن الثانى و الثالث فما بعده مما حصل به تخبيط الأدمغة الذى كانت نتيجته التفرق المذهبى و الشقاق العقائدى حيث حصلت به فتنة الجهمية والمعتزلة على شاكلتهما كما أنتج شطحات الصوفية وزيغ الحلولية و الاتحادية والاسماعيلية و القرامطة والدروز والنصيرية و من على شاكلتهم من كل ملحد و زنديق مما بدد طاقات الأمة وأوقف المد الاسلامى وفرق المسلمين شيعا و أحزابا متناحرة حتى صار بعض طواغيت الضالين بتلك المنابع الخبيثة عميلا للكفرة يدلهم على عورات المسلمين ، و يهيئ لهم وسائل الغزو و الفتك ،



و صار كثير من الولاة بسبب فساد الأفكار ، قد سيطرت عليه الأنانية التى مهدت السبيل لكل غاز مغرض مغل على الاسلام فيا لها من حكمة إلهية ركزها المصطفى ﷺ بحصر المنبع الثقافى على وحى الله ليتميز المسلمون باستقلالهم الفكرى عما سواهم حماية لهم مما حصل عليهم حين أضاعوا ذلك ( فتصور أيها المسلم ) غضب المصطفى ﷺ الشديد حين رأى مع ابن الخطاب أوراقا من التوراة و هو من الكتب السماوية لترى منه أعظم الغضب، لو كان يرى الكثير من أمته عاكفا على منطق اليونان و معجبا بأساطيرهم مع ما تبصره من سوء النتائج ( ثم تصور ما افتتن به كثير من الأمة هذا الزمان من الولوع بالثقافة الغربية والنظريات اليهودية الالحادية ) لتعلم أن ما غضب المصطفى ﷺ منه ، و حذر عنه أنه تنبيه بالأدنى على الاعلى ضرراً وخطراً ، فكما أن تحريم التأفيف من قوله تعالى فى حق الوالدين (ولا تقل لهما أف) يدل بطريق الأولى على تحريم الانتهار وبطريق أولى و أوكد على تحريم الضرب فاذا كان النظر فى شئ من التوراة مغضباً للرسول ﷺ ولربه ، فما بالك بدراسة كتب الملاحدة وتقبل نظرياتهم ؟

لا شك أنه أشد إغضاباً لله و لرسوله و إغضاب الله موجب لنقمته و يزداد الغضب و النقمة باصرارهم على ذلك و استحسانهم له لأن فيه نكوص عن واجب الله من الاستغناء بوحيه و حمل رسالته بتوزيع هدايته و عدم الالتقاء مع أعدائه الكفرة فى أى ميدان من ميادين الحياة لأن سلوك صراط الله المستقيم ، يقتضى مخالفة أعدائه فى كل ما ورد و صدر لينحصر الاتجاه والسلوك ، و تتحقق الشخصية المسلمة دون ازدواج ، لأن الأزدواج يفقدها الاستقلال الذى يوجب الله تكامله فيها و لذا حرم على المسلم التشبه بغيره على لسان رسوله حيث قال ﷺ : ( من تشبه بقوم

فهو منهم ) لأن التشبه نتيجة لما يحصل فى القلب من الاعجاب بالغير أو تعظيمه و إكباره و استحسان ما هو عليه فيكون كمركب نقص فى المتشبه الذى اتصم بعار التقليد .

فمناهج التربية التى خططتها الماسونية اليهودية ، والتزم الاستعمار على اختلاف أنواعه بتنفيذها فى كل بلد تطؤها قدماه مناهج مؤسسة على بث الشعور القومى و الوطنى و حصر الهمة على النفعية المادية ، والمتع الجنسية بدلا من الشعور الدينى ، و حصر الهمة على ما يقتضيه فهو اتجاه جاهلى جديد إلى وثنية جديدة معقدة أعادت معنى ( اللات والعزى ) ونحوهما بأسماء أشخاص و ألقاب و مذاهب مادية و مبادئ أرضية مبتورة عن رب السماء و بضاعة السماء فما أجهل و أسفه من يتخيرها ويطمئن إليها معرضاً عن بضاعته السماوية رافضاً رسالته المحمدية مختاراً للاستيراد على التصدير ، و التسفل على الاستعلاء .

تسفل التقليد والاستجداء والتطفل على المزابل الماسونية يحسبها موائد على الشموخ برأس القيادة والهداية لتوزيع موائد السماء الصحيحة ، إن من عنده أدنى مسكة من عقل ينظر إلى توجيه الكافر المستعمر فى الميدان الثقافى وما يبثه من شعور فى ميدان التربية و التعليم ليعرف خطة أعداء الله و أعدائه ، فلا يسلكها بعد الخلاص منه بل و لا يؤمن بما أبرزته تلك التعاليم من رجال و لا يوليهم أدنى ثقة ولا يطمئن إليهم أبداً لأنهم أفراخ عدوه المتربين فى حضانته .

و من ألقى أدنى نظرة على توجيه الكافر المستعمر و ما يركزه من شعور فى ميدان التربية و التعليم ، وجده يركز الشعور القومى و الوطنى



ليمسخ الشعور الدينى و يمحوه من أساسه و يجعل الأمم و الشعوب توجه وجوهها لغير الله ، و تعظم غير شعائر الله و حدوده ، و يجعل رسلا فى ميدان الفكر والثقافة غير رسول الله ﷺ فما أسفه من يجعل حياته امتداداً لحياة الكافر من رئيس و مرؤوس بدلا من أن يجعل حياته امتداداً لحياة نبيه ﷺ كما أوجب الله عليه .

وأما من أهل القيام بمدلول (إياك نعبد وإياك نستعين) فى الشؤون الاجتماعية فهذا أسفه ممن يبيع أنفس شئ بأحقر شئ بل أسفه ممن يرمى الجواهر فى الحشوش ، لأن عقيدته رسمت له خطوطا متكاملة وافية لجميع الشؤون الاجتماعية فيها ما يضبط وقته الغالى عن الضياع ، و يضبط ماله عن التبدد ، و يحفظ أخلاقه عن الانحلال و يصون عرضه و يرفع مكانته و كرامته و يحقق له جميع معانى انسانيته فى الأرض بحيث يحيا بها حياة طيبة .

و لما كانت هذه الخطوط المتكاملة مرتبطة بالصدق فى عبادة الله وتقواه حق تقاته كان المخل بها سفيها وكان المهمل لها و المتسلخ عنها من أسفه السفهاء لجنايته على نفسه أعظم جناية فان من لم يقف عند حدود الله فى الشؤون الاقتصادية يجنى على نفسه باكتسابه الأموال من طرق محرمة ستكون لها الآثار السيئة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يصرف المال على خلاف ما حدد الله له وفق عبوديته فيكون مع ارتكابه الجريمتين سالكا ضد سالك العقل الصريح لاساءته إلى نفسه وإلى غيره فى طريق الاكتساب أولا ثم بطريق التبديد فى الشهوات و الأغراض النفسية ثانياً .

و المهمل لمدلول هذه الآية فى الشؤون الاجتماعية يفقد الأمن الصحيح والاطمئنان فى حياته على نفسه و عرضه و ماله و ذلك بتشريع

ما يخالف حكم الله واستحسانه أو اختيار الاستظلال بظلل من فعله بحيث يكون المعتدى على الكلب أعظم جرما ممن يعتدى على عرض انسان كما هو منصوص فى القوانين البشرية الديوثية المستجلبة من أعداء الله ويضيع أعلى ما لديه من عمره الغالى فى اللهو واللعب ويصرف ماله العزيز فى الشهوات والطرب مما يكون به فى الحقيقة مشتر بالنار جهنم بصنوف عذابها ويكون مفرطا مستقبله فى الحياة الدنيا بائعاً نفسه على أعدى أعدائه بمتابعته لهم و استحسانه لأوضاعهم وارخاصه لعرضه و مقدساته وعدم مبالاته بابراز نسائه لعوراتها و عرضها لكل ناظر باسم التطور الذى جروه إليه وجعلوه تابعاً لهم كالحيوان المسير بدلا من أن يسعى فيما أوجب الله عليه ليكون هو المتبوع فهل يوجد سفه مطبق أفظع من هذا ؟

زد على هذا أن من جره فقدان العقيدة الأصيلة فانحرف عن تطبيق القيام بمدلول (إياك نعبد وإياك نستعين) فانه مع كونه مهزوز الشخصية مبتلى دائماً بالهزات السياسية و الارهاصات المختلفة فانه على تقدير سلامته منها لا يقابل عدوه بالمعادات القوية إلا مضطراً بحيث يكون مستعداً لاجابة عدوه فى المهادنة دون النظر إلى سوء قصده من إرادته الاستجمام فقط ليخدعه بل يبادر بكل سرور إلى مسالمته ، و فتح بلاده له ليسرح فيها و يمرح متعاميا عن كل ما حدث منه بل قد لا يتألم لمعاداة بعض رعاياه له وتطاولهم عليه وهم بالأمس مكبوتين و ذلك لفقدان أصالة العقيدة المذهبة للخوف ، والتى يرتكز عليها أولا واضعف اعتماده على الله ثانياً وذلك لضعف الصلة أو قطعها فيما بينه و بينه فيكون سفيها حتى فى عداوته لعدوه ومسالمته إياه لعدم بنائها على أصول الحياة التى هى ملة إبراهيم التى لا يقبل الله سواها ولا علاقة صحيحة بينه و بيننا بدونها .

# ثواب الجهاد فى سبيل الله

إعداد : عبد الرحيم صالح عبد الله

وعد الله سبحانه و تعالى - و هو لا يخلف الميعاد - المجاهدين فى سبيله بأموالهم و أنفسهم ابتغاء مرضاته تعالى لاعلاء كلمة الله دون أى هدف آخر بأن لهم الجنة ، وقد بين سبحانه و تعالى ذلك فى كثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » ( سورة التوبة الآية : ١١١ ) .

فى هذه الآية بيان واضح جلى من الله تعالى لعباده المؤمنين يبين فيه لهم أن الدخول فى دين الاسلام يعنى قبول المسلم باتمام صفقة مبايعة بين متبايعين الله سبحانه و تعالى فيها هو المشترى والمؤمن فيها هو البائع وقد باع فيها المؤمن نفسه و ماله مقابل ثمن محدد معلوم ، ولكن لا يعد له أى ثمن وهذا الثمن هو الجنة وهو ثمن لا تعد له السلعة ولكنه فضل الله و منه ، وإنه بموجب هذه البيعة التى تتم بين العبد و ربه بمجرد قبول العبد باعتناق الاسلام لا يبقى بعدها للمؤمن شئ فى نفسه و لا فى ماله يحتجزه دون الله سبحانه و تعالى و دون الجهاد فى سبيله لتكون كلمة الله

هى العليا و ليكون الدين كله لله .

و من بايع هذه البيعـــة و فى بها بحمل السلاح فى سبيل الله فهو المؤمن حقا الذى ينطبق عليه وصف المؤمن ، و تتمثل فيه حقيقة الايمان و إلا فانه يشك فى حقيقة إيمانه ، و عندما تتم صفقة البيع و الشراء فان للشارى أن يتصرف بها وفق ما يفرض و وفق ما يحدد ، و ليس للبايع فيها من شئ سوى أن يمضى فى الطريق المرسوم لا يتلفت و لا يتخير و لا يناقش و لا يجادل و لا يقول إلا الطاعة والعمل والاستسلام مادام أنه رضى بالثمن الذى لا يعد له ثمن وهو الجنة . . والطريق . . والطريق هو الجهاد والقتل والقتال . . والنهاية هى النصر أو الاستشهاد .

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنـــة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون » .

أى سواء قتلوا أو قتلوا أو اجتمع لهم هذا وهذا فقد وجبت لهم الجنـة و لهذا جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنـه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تضمن الله لمن خرج فى سبيله - لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى و إيمان بى و تصديق برسلى - فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منـــه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة » .

من بايع على هذا ، من أمضى عقد الصفقة ، من ارتضى الثمن ووفى فهو المؤمن الذى يستحق دخول الجنـة . . فالمؤمنون هم الذين اشترى الله منهم فباعوا . ومن رحمة الله أن جعل للصفقة ثمناً ، و إلا فهو واهب الأنفس والأموال و هو مالك الأنفس و الأموال ، ولـكنـــه كرم هذا



الانسان فجعله مريداً ، و كرمه فجعل له أن يعقد العقود و يمضيها - حق مع الله - و كرمه فقيده بعقوده و عهوده ، و جعل وفاءه بها مقياس انسانيته الكريمة ، و نقضه لها مقياس انتكاســه إلى عالم البهيمة . . شر البهيمية . . « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون » .

كما جعل مناط الحساب والجزاء هو النقض أو الوفاء .

إنها لبيعة رهيبة فى عنق كل مؤمن قادر على الجهاد فى سبيل الله ، فما من مسلم إلا ولله عز وجل فى عنقه بيعه و فى بها أو مات عليها وإن من حمل السلاح فى سبيل الله قبل هذا العقد و وفى به ، ولا تسقط هذه البيعة عن كل مسلم إلا بسقوط إيمانه ، وبما أن الجهاد فى سبيل الله ماض إلى يوم القيامة ، فان البيعة باقية فى عنق كل مؤمن تطالبـــه ، وإلا فليس بالايمان و : « من مات ولم يغز ، و لم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق » ( رواه الامام أحمد و أخرجه مسلم و أبو داؤد والنسائى )

و عند ما كان المؤمنون الأوائل يتلقون هذه الكلمات كانوا يتلقونها للعمل المباشر بها ، و بتأثيرها أصبحوا قوة كان من الشائع فى العالم أجمع أنها قوة لا تقهر ، و لم يضعف المسلمون ، و لم يهنوا أمام أعدائهم إلا بعد أن ابتعدوا عن تنفيذ تعاليم اسلامهم ، و لقد تمسك بهذه البيعة عبد الله بن رواحة و من معه من المؤمنين الذين حضروا بيعة العقبة الثانية تمسكا قويا رائعا ، قال محمد بن كعب القرظى و غيره : قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ - يعنى ليلة العقبـة - اشترط لربك و لنفسك ما شئت فقال : « أشترط لربى أن تعبدوه و لا تشركوا به شيئاً . واشترط لنفسى

أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم و أموالكم » قال : فما لنا إذا نحن فعلنا ذلك ؟ قال : « الجنة » قالوا : ربح البيع و لا نقيل و لا نستقيل .

هكذا . . « ربح البيع و لا نقيل ولا نستقيل » . . لقد أخذوها صفقة ماضيه نافذة بين متبايعين انتهى أمرها وأمضى عقدها و لم يعد إلى مرد من سبيل ، « لا نقيل و لا نستقيل » فالصفقة ماضية لا رجعة فيها و لا خيار ، والجنة ثمن مقبوض لا موعود أليس الوعد من الله ؟ أليس هو الذى وعد الثمن ، وعدا قديماً فى كل كتبه .

« وعداً عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن » (١) .

(١) عند ما يقف العلماء و المجتهدون و المفسرون أمام قوله تعالى فى هذه الآية : « وعداً عليه حقاً فى التوراة و الانجيل و القرآن » يشيرون إلى أن وعد الله للجاهدين فى سبيله فى القرآن مشهور مؤكد مكرور . . وهو لا يدع مجالا للشك فى إصالة عنصر الجهالة فى سبيل الله فى طبيعة الدين الاسلامى باعتباره الوسيلة الضرورية لازالة القوى والحواجز المادية التى تقف أمام الدعوة الاسلامية و تحول بينها وبين الوصول إلى الناس لهدايتهم إلى ما فيه خيرهم فى دنياهم و أخراهم ، لاخراجهم من الظلمات إلى النور .

فأما وعد الله للجاهدين فى التوراة والانجيل ، فهو الذى يحتاج إلى شئ من البيان . .

إن التوراة و الانجيل اللذين فى أيدى اليهود والنصارى اليوم لا يمكن القول بأنهما هما اللذان أنزلهما الله على نبيه موسى و على نبيه عيسى عليهما السلام و حتى اليهود والنصارى أنفسهم لا يجادلون فى أن النسخة الأصيلة لهذين الكتابين لا وجود لها ، وأن ما بين أيديهم قد كتب بعد فترة طويلة ضاعت فيها معظم أصول الكتابين ، و لم يبق إلا ما وعته ذاكرة بعد ذاكرة . . و هو قليل . أضيف إليه الكثير .



تأكيد لهذا الوعد و إخبار بأنه قد كتبه على نفسه الكريمة و أنزله على رسله فى كتبه الكبار وهى التوراة المنزلة على موسى والانجيل المنزل

و مع ذلك فما تزال فى كتب العهد القديم اشارات إلى الجهاد ، والتحريض لليهود على قتال أعدائهم الوثنيين لنصر إلههم و ديانته وعبادته وإن كانت التحريفات قد شوهت تصورهم لله سبحانه وتصورهم للجهاد فى سبيله .

فأما فى الأناجيل التى بين أيدى النصارى اليوم فلا ذكر و لا إشارة إلى جهاد . . و لكننا فى حاجة شديدة إلى تعديل المفهومات السائدة عن طبيعة النصرانية ، فهذه المفهومات إنما جاءت من هذه الأناجيل التى لا أصل لها - بشهادة الباحثين النصارى أنفسهم - وقبل ذلك بشهادة الله سبحانه كما وردت فى كتابه المحفوظ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه .

و الله سبحانه يقول فى كتابه المحفوظ : إن وعده بالجنة لمن يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون ، ثابت فى التوراة و الانجيل والقرآن . . فهذا إذن هو القول الفصل الذى ليس بعده لقائل مقال .

إن الجهاد فى سبيل الله بيعة معقودة بعنق كل مؤمن ، كل مؤمن على الاطلاق منذ كانت الرسل و منذ كان دين الله .

على عيسى ، و القرآن المنزل على محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

« و من أوفى بعهده من الله » .

فانه لا يخلف الميعاد و هذه كقوله تعالى : « و من أصدق من الله حديثاً » و كقوله تعالى « و من أصدق من الله قيلا » .

و لهذا قال تعالى : « فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم » .

استبشروا باخلاص أنفسكم و أموالكم لله و أخذ الجنة عوضاً و ثمناً كما وعد الله ، و الحقيقة أن ما يقدمه المؤمن مقابل هذا الفوز العظيم هو النفس و المال ، أما النفس فالى موت ، و المال إلى زوال ، سواء أنفقهما صاحبهما فى سبيل الله أم فى سبيل سواه والجنة كسب بلا مقابل فى حقيقة الأمر و لا بضاعة فالمقابل زائل فى هذا الطريق أو ذاك .

وقد حض الله تعالى عباده المؤمنين فى آيات أخرى من القرآن على الاقبال على هذه التجارة التى هى أربح تجارة فى الدنيا و الآخرة ، تجارة الايمان بالله والجهاد فى سبيل الله : قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون فى سبيل الله بأموالكم و أنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار و مساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم و أخرى تحبونها نصر من الله و فتح قريب و بشر المؤمنين » ( سورة الصف ، الآيات : ١٠ ١٣ ) .

لقد علم الله تعالى أن النفس البشرية فى حاجة إلى تكرار وإلى تنويع



والى موجبات لتنهض بهذا التكليف الشاق وهو الجهاد فى سبيل الله بالمال و النفس الضرورى و الذى لا مفر منه لاقامة منهج الله فى الأرض و حراسته والمحافظة على تطبيقه تطبيقاً كاملا وهنا فى هذه الآيات لتشويق المؤمنين إلى الجهاد فى سبيل الله يدلهم على أنه أربح تجارة فى الدنيا والآخرة و إنها تجارة ذات ربح ضخم هائل لايتور أبداً ، تجارة رأس مالها الايمان بالله و رسوله والجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس ، ويبين سبحانه و تعالى كسبها عظيم لا يدانيه أى كسب ، و هو غفران الذنوب وخلود لا يعلم له نهاية إلا ما شاء الله و متاع غير مقطوع و لا ممنوع و هو خلود فى الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات ، إنها لاربح تجارة أن يجاهد المؤمن فى حياته القصيرة ، و فى ماله المحدود الذى مصيره إلى زوال ثم يعوض عن ذلك تلك الجنات و هذه المساكن فى نعيم مقيم ، و حقا . . « ذلك الفوز العظيم » .

إنه لربح ضخم هائل أن يعطى المؤمنون الدنيا و يأخذوا الآخرة ، و علاوة على ذلك يكسبون زيادة أخرى يحبونها و هى « نصر من الله و فتح قريب » .

فاذا قاتل المسلمون فى سبيل الله و نصروا دينه تكفل الله بنصرهم ، و فى ذلك عزة للاسلام وللمسلمين فى الدنيا بالاضافة إلى الثواب الذى يناله المجاهدون فى سبيل الله فى الآخرة وقد جعل الله شرط نصر المسلمين أن يعملوا هم لنصرته ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم » .

و قال تعالى : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز »

و قوله تعالى : « و فتح قريب » أى عاجل فهذه الزيادة هى خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله و رسوله و نصر الله و دينه و لهذا قال تعالى : « و بشر المؤمنين » .

و من الآيات التى تبين ثواب المجاهدين فى سبيل الله :

قوله تعالى : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم و أنفسهم أعظم درجة عند الله ، و أولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه و رضوان و جنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً ، إن الله عنده أجر عظيم » . (سورة التوبة الآيات : ٢١ - ٢٢ )

و قوله تعالى : « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا؛ ثم جاهدوا و صبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ، يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها و توفى كل نفس ما عملت و هم لا يظلمون » ( سورة النحل ، الآيتان : ١١٠ - ١١١ ) .

فضل كل عمل يبذل فى الجهاد سبيل الله .

قال تعالى : « ما كان لأهل المدينة و من حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله و لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ و لا نصب و لا مخمصة فى سبيل الله و لا يطئون موطئا يغيظ الكفار و لا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين » ( سورة التوبة الآية : ١٥١ )

يذم الله تبارك وتعالى المتخلفين عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك من أهل المدينة و من حولها من أحياء العرب ، و رغبتهم بأنفسهم عن مواساته فيما حصل له من المشقه ، فانهم نقصوا أنفسهم من الأجر لأنهم



هم و غيرهم من المسلمين فى كل زمان و مكان « لا يصيبهم ظمأ » و هو العطش ، « ولا نصب » و هو التعب ، « و لا مخمصة » و هى المجاعة ، « و لا يطئون موطئا يغيظ الكفار » أى و ينزلون منزلا يرهب عدوهم « ولا ينالون » منه ظفراً وغلبة عليه « إلا كتب لهم بهذه الأعمال عملا صالحاً و ثوابا جزيلا « إن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

و روى البخارى فى صحيحه عن عبد الرحمن بن جبر أن رسول الله ﷺ قال : « ما اغبرتا قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار » .

وفى الحديث اشارة إلى عظيم قدر التصرف فى سبيل الله ، فاذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى و بذل جهده واستنفذ وسعه ؟

يقول ابن حجر فى (فتح البارى) وللحديث شواهد ، منها ما أخرجه الطبرانى فى الأوسط عن أبى الدرداء مرفوعا : « من اغبرت قدماه فى سبيل الله باعداء الله منه النار مسيرة ألف عام للراكب المستعجل » .

و أخرج ( ابن حبان ) من حديث جابر أنه كان فى غزارة فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « فذكر نحو هذا الحديث » قال : فتواثب الناس عن دوابهم فما روى أكثر ماشياً من ذلك اليوم .

وأخرج الترمذى والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تلج النار رجل بكى من خشية الله ، حتى يعود اللبن فى الضرع . ولا يجتمع على عبد غبار فى سبيل الله و دخان جهنم » و زاد النسائى فى أخرى « فى منخرى مسلم أبداً » .

و للنسائى أيضاً قال : « لا يجتمع غبار فى سبيل الله و دخان جهنم فى جوف عبد أبداً ولا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد أبداً » و فى أخرى « فى قلب مسلم » فى الموضعين .

# مادتنا الحب !

الدكتور سعيد رمضان

قال محدثى ، وهو رجل كبير مارس الدعوة إلى الله سنين طويلة :

« يبدو لى أن أكثر دعاة الاسلام قد تخلفوا عن أداء مهمة هى أخص مهامهم ، وأن تخلفهم عن أداء هذه المهمة هو سبب الأول وراء كل مشكلة تعترض ركب الدعوة وكل عثر يقع فيها . . هذه المهمة هى إشاعة الحب بين القلوب ، إنه كما يختص كل أستاذ بمادة يحسنها ولا يضيره الا يحسن سواها ، فكذلك الداعى إلى الله يختص بمادة الحب : حب الله و توثيق عرى المحبة بين القلوب . و لا يضيره كثيراً إن هو نجح فى مادته أن يقصر فيما سواها ، لأنه حينئذ يكون قد أرسى الأساس الراسخ فى أعماق النفوس ، و هيأ المنبت الصالح لكل الفضائل ، و إقام الحصن المنيع دون أكثر الفتن » .

هذا قول حق ، و دعاة الاسلام جميعاً فى حاجة إلى أن يتدبروه و يطيلوا الوقوف عنده ، و أن يحاسبوا أنفسهم !

إن كلمة « الحب » هذه ، التى ظلمها الناس ، هى الكلمة الكثيرة التى اتسمت بها مواكب الأنبياء و قامت عليها مجتمعاتهم ، و هى « الاكسير » الذى جعل صلة أتباعهم بالخير صلة حقيقية تستعذب فى سبيله العذاب ،



كما جعل آصرتهم فيما بينهم آصرة الروح من وراء العقل فلا تختلف باختلاف الرأى ، و فوق المصالح المادية فلا تتأثر بهوى خاص .

و أنك لتقرأ القرآن فتطالع مصداق ذلك و تجد مكان هذا الحب أصيلا . . تجده فى مقام الدعوة هو الوازع الذى تستثيره السماء و الغاية التى تلفت إليها القلوب :

« قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » و تجده فى وصف المؤمنين :

« و الذين آمنوا أشد حباً لله » و تجده فى وصف ما بينهم و بين ربهم :

« يحبهم و يحبونه » و تجده فى الحديث عن الخير والشر :

« إن الله يحب المحسنين » و « إن الله لا يحب المعتدين » و تجده فى صلة المؤمن بالمؤمن نعمة مزجاة يمتن بها الله على عباده مرتين فى آية واحدة :

« واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

و هكذا حيثما تنقلت بين آيات الكتاب الكريم

و تأتى سيرة رسول الله ﷺ بين يدى الكتاب مليئة بالحب فى كل أيامها . و هذا قوله ﷺ ينضح رقة و حباً :

« أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبونى لحب الله إياى » (١)

بل إنك لتشهده دائماً كالزارع يتعهد بذور هذه العاطفة فى منابتها بالرى

---

(١) الترمذى عن ابن عباس .

والرعاية ، و يداب على ذلك بحاله و مقـــاله ، أما حاله فحال الرجل الملىء بالحب يفيضه على من حوله و يتألف قلوبهم بكل سبيل ، و حسبك أن تقرأ فى ذلك المأثور عن أخلاقه ﷺ :

يقول أبو سعيد الخدرى : « كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها ، وكان إذا كره شيئاً عرفناه فى وجهه ، وكان لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحداً بما يكرهه حياء و كرم نفس » .

و يقول على ابن أبى طالب : « كان رسول الله ﷺ أوسع الناس صدراً و أصدق الناس لهجة و ألينهم عريكة و أكرمهم عشرة » .

و يروى القاضى أبو الفضل : « كان رسول الله ﷺ يؤلف أصحابه ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم و يوليه عليهم . ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره و لا خلقه ، يتعهد أصحابه و يعطى كل جلسائه نصيبه ، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، و من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه و خلقه فصار لهم أبا و صاروا عنده فى الحق سواء ، و كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب » .

و يقول جرير ابن عبد الله : « ما حجبنى رسول الله ﷺ قط منذ أسلمت ، و لا رآنى إلا تبسم ، وكان يمازح أصحابه و يخالطهم و يحادثهم و يداعب صبيانهم و يجلسهم فى حجره ، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، و يعود المرضى فى أقصى المدينة ، و يقبل عذر المعتذر »

ويقول أنس : « ما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ ،



و لم يمد ركبتيه بين يدى جليس له قط ، و كان يبدأ من لقيه بالسلام ، و يبدأ أصحابه بالمصافحة ، و يكرم من دخل عليه و ربما بسط له ثوبه و يؤثره بالوسادة التى تحته و يعزم عليه فى الجلوس عليها أن أبى ، ويكنى أصحابه و يدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ، ولا يقطع على أحد حديثه »

أما مقاله ﷺ فكثير وافر . . . يروى منه أبو هريرة : « المؤمن الف مألوف و لا خير فيمن لا يألف و لا يؤلف » (١) كما يروى عنه ﷺ « أن حول العرش منابر من نور ، عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ، ليسوا بأنبياء و لا شهداء ، يغبطهم النبيون و الشهداء ، فقالوا : يا رسول الله : صفهم لنا ، فقال : هم المتحابون فى الله و المتجالسون فى الله والمتزاورون فى الله » (٢) .

بل إنه ﷺ ليجعل عاطفة القلب فى أداء حقوق الاخوة أصلا لا يتم الايمان بدونه و ليست فضلا يتفضل به الأخ على أخيـــه ، فيقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٣) .

و من المشاهد العذبة التى تستثير كوا من العاطفة وتوثق أواصر الحب ، ما ورد عنه ﷺ فى قوله : « إن رجلا زار أخا له فى الله ، فأرصد الله ملكا ، فقال :

أين تريد ؟ قال : أريد أن أزور أخى فلانا ، فقال : لحاجة لك عنده ؟ قال : لا ، قال : فبم ؟ قال أحبه فى الله ، قال الملك : فان الله

(١) الحكم ، و أحمد و الطبرانى من حديث سهل بن سعد .
(٢) النسائى فى سننه الكبرى و رجاله ثقات .
(٣) متفق عليه .

أرسلنى إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه ، وقد أوجب لك الجنة » (١)

وأبلغ من ذلك أن يدفع الرسول أصحابه إلى التنافس فى هذا الحب و يؤسس عليه درجات المتحابين عند الله حين يقول : « ما تحاب اثنان فى الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه » (٢) .

أرأيت يا أخى كيف كانت « مادة الحب » فى مدرسة الاسلام الاولى ، و فى أستاذها الأكبر صلوات الله و سلامه عليه ؟ أو لست ترى معى بعد ذلك مبلغ الحق فيما قاله محدثى و نقلته إليك قبل لحظات ؟

إن الحقائق الكبيرة التى بلغها رسول الله و ربى عليها جيله الأول هى وحدها الركائز التى يجب أن يقوم عليها مجتمعنا الجديد ، و لن يستقيم لنا بغيرها طريق . . إن الحق هو الحق ، والنفوس هى النفوس

ما أكثر ما أذكر كلما التوى أمامى مسلك أو تعقدت مشكلة حادثة الأنصار مع رسول الله ﷺ يوم وزع العطايا و لم يعط الانصار منها شيئاً ، فوجدوا فى أنفسهم ، و كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم : لقى والله رسول الله قومه ! و دخل سعد بن عبادة على الرسول يقول له : يا رسول الله إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم ، لما صنعت فى هذا الفئ الذى أصبت ، قسمت فى قومك و أعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب ، و لم يك فى هذا الحى من الأنصار منها شئ ، قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله . ما أنا إلا من قومى ! قال : فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة ، فخرج سعد ، فجمع الأنصار

(١) مسلم عن أبى هريرة .

(٢) ابن حبان و الحاكم من حديث أنس و قال صحح الاسناد .



فى تلك الحظيرة ، فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار ، فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يا معشر الأنصار : ما قالة بلغتنى عنكم ، وجدة وجدتموها على فى أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ، الله و رسوله أمن وأفضل ، ثم قال ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله و لرسوله المن و الفضل ، قال ﷺ : أما والله لو شئتم لقلتم ، فلصدقتم ولصدقتم : أتيتنا مكذبا فصدقناك ، و مخذولا فنصرناك ، وعائلا فآسيناك ، أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، و وكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالشاة و البعير ، و ترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا ، لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، و أبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار

فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظاً .

ثم انصرف رسول الله ﷺ و تفرقوا . .

لقد كادت أن تكون مشكلة ، بل كانت فعلا و ثار ثائرها و بلغ الأمر أن اتهم الرسول بمحاباته لقومه ، وهى تهمة يتنزه عنها كل حاكم فكيف برسول الله ! فماذا حدث ؟ لم يغضب الرسول لنفسه ، وإنما سارع إلى هذا الحب المشرق يكشف فى نوره الحكمة وراء تصرفه ، فحلت المشكلة من أقرب طريق ، وبقيت النفوس سليمة لا تنطوى على شئ ، بل لعلها زادت نوراً تلألأت به هذه الدموع الكريمة فى حجر النبى الحبيب .

# ما قيمة كأس لا تطفح ولا تفيض ؟

فضيلة الأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى

لقد كان المسلم فى حاجة إلى غذاء للقلب ، و إلى زاد للعاطفة وإلى أن يقضى شوقه ، و يروى غلته مرة بعد مرة ، و على فترة بعد فترة ، وكان فى حاجة إلى أن تطفح كأسه ، فما قيمة كأس تمتلئ ولا تطفح ؟ و كان فى حاجة إلى أن تفيض هذا الكأس ، فما قيمة كأس تطفح و لا تفيض ؟

تسلية البيت والحج لحنان المسلم وهيمانه :

و قد تفطن حجة الاسلام الغزالى بذكائه النادر ، و فقهه الدقيق لأسرار التشريع لهذه النكتة ، وعرف أن الشوق غريزة فى الانسان الحى السليم ، وحاجة من حاجاته ، فيحث له عما يقضى به حاجته ، و يروى غلته ، وكان البيت العتيق وما حوله من شعائر الله ، والحج وما فيه من مناسك ، خير ما يحقق رغبته ، و يسلى حنانه و عاطفته ، و قد قال الله تعالى : « و إذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئاً ، وطهر بيتى للطائفين و القائمين و الركع السجود ، و أذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا و على كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم



و يذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها و أطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » (١) .

يقول الغزالى :

« فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة ، هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ما له إلى محبوبه إضافة ، والبيت مضاف إلى الله عز و جل ، فبالحرى أن يشتاق إليه لمجرد هذه الاضافة ، فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل » (٢) .

و يردفه شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى ، فيشير إلى نفس النكتة ، و يجعلها حكمة الحج الأساسية ، فيقول :

« و ربما يشتاق الانسان إلى ربه أشد شوق ، فيحتاج إلى شئ يقضى به شوقه فلا يجده إلا الحج » (٣) .

لقد كان للمسلم أن يقضى هذا الشوق ، و أن يبرز هذا الحنان ، وأن تفيض كأسه فى الصلوات التى يصليها كل يوم ، فيسلى بها قلبه ، و يطفئ بها غلته ، و يهدئ بها ثائرته ، و يخفف بها حرارة شوقه ، و وهج نفسه و لكنها قطرات محدودة تتكون خشوعاً ، أو تسقط دموعاً ، إنها قطرات قد لا تفى بما يجيش فى الصدر من حنان و ولوع ، و هى قطرات قليلة فى بعض الأحيان لا تسمن و لا تغنى من جوع .

---

(١) الحج : آية - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩

(٢) إحياء علوم الدين - ج ١ - ص ٢٤

(٣) حجة الله البالغة ج ١ ص ٥٩

طفرة ، أو قفزة واسعة من سجن ضيق إلى عالم فسيح :

وكان للمسلم أن يروى ظمأ روحه ، و يقضى حاجة حنانه ، ويكسر سورة نفسه ، و يثور على « ونية » عاداته و مألوفه ، و أن يغذى روحه بتخلية معدته فى شهر رمضان ، ولكنها ساعات محدودات كذلك ، محفوفة بما يخفف أثرها ، و يضعف سلطانها ، من أكلة متخمة ورى مسرف ، و راحة منعمة و مجتمع ثائر ، و مدنية قد أحاطت بالصائم ، كما تحيط البحار المتلاطمة بجزيرة صغيرة ، فكان المسلم - بكل ذلك - فى حاجة إلى طفرة ، أو قفزة واسعة يفك بها أغلاله و سلاسله ، و ينسلخ بها من سجنه الضيق القديم ، العتيق الخالق ، و ينتقل من عالم ، كله قديم مألوف ، و مقيد محدود ، و مخطوط مرسوم ، و مصنوع معمول ، إلى عالم ، كله جديد و طريف ، و حر منطلق ، و ثائر مارد ، كله حب وغرام ، وشوق و هيام ، قد تحرر من كل رق ، و ثار على كل وثن ، و كفر باختلاف الجنس و اللون والوطن ، و آمن بوحدة الالهية ، وبوحدة المنعم والوهاب و بوحدة الانسانية ، و بوحدة العقيدة ، و بوحدة المطلوب ، و هتف الناس جميعاً بصوت واحد : « لبيك أللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

لقد كان المسلم فى حاجة - بعد هذه الصلوات ، التى يصليها كل يوم و بعد شهر رمضان ، الذى يصومه كل عام ، و بعد الزكاة ، التى يقوم بها إذا تم النصاب و حال الحول - إلى أن يشهد موسماً هو ربيع الحب والحنان ، و ملتقى المحبين والمخلصين ، ومشهد العشاق والهائمين .

تحد لعباد العقل والمادة ، ودعوة إلى الايمان بالغيب ، واتباع الأمر المجرد :



و كان المسلم فى حاجة إلى أن يثور على عقله ، الرزين الوقور ، المقلد المطبق ، و ما لذة حياة لا ثورة فيها و لا تمرد ؟ وكان فى حاجة إلى أن يتخطى الدائرة المرسومة من عادات و مألوفات ، و قوانين وضعية و حضارة مصطنعة و مجتمع قاس ، ويفك قيوده و أغلاله ، وينتزع الزمام من يد عقله ، الذى استبد به زماناً طويلا ، و يعطيه لقلبه و عاطفته ، فيتحكمان فيه ما شاءا ، و يهيم على وجهه كما هام الهائمون ، و يذهب فى الحب كل مذهب كما فعل العشاق المتيمون ، فلا حرية لمن ملكه المجتمع ، و سيطرت عليه الحضارة ، و تسلطت عليه آلهة التقاليد ، و لا توحيد لمن أسرته العادات ، والمألوفات والشهوات ، و لا يعتبر مطيعاً منقاداً ، مسلماً مستسلماً ، من اعتمد دائماً على عقله ، لا ينشط لعمل ، ولا يسرع لامتثال أمر ، حتى يزنه فى ميزان عقله المخلوق ، و يعرف فوائده المادية المحسوسة و الحج بوضعه الدقيق الغامض ، المنافى للألوف المعروف ، لعباد العقل والمادة ، وأسارى النظم و الترتيبات ، و دعوة إلى الايمان بالغيب ، واتباع الأمر المجرد ، و عزل العقل عن وظيفته لمدة محدودة ، وفى مكان محدود و صرفه عن طلب الدليل والحكمة ، والمنطق والفلسفة فى كل حين وأوان و فى كل زمان و مكان .

و قد أبدع حجة الاسلام الغزالى كل الابداع فى بيان روح الحج و حقيقته ، - و هى الايمان بالغيب ، والامتثال المطلق - و صور بقلمه البليغ ، و ريشته البارعة ، صورة الحج الرائعة ، و بلغ إلى لب الدين و جوهره ، و روح الاسلام و حقيقته فى شرح هذا الركن العظيم ، و قد غفل عن ذلك أكثر العلماء والكتاب فى القديم والحديث ، ويقول

رحمه الله :

« و وضعه ( أى البيت ) على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ، ومن كل أوب سحيق شعثاً غبراً ، متواضعين لرب البيت ، ومستكينين له خضوعاً لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت ، أو يكتنفه بلد ، ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم و أتم فى إذعانهم و انقيادهم .

ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس و لا تهتدى إلى معانيها العقول ، كرمى الجمار بالأحجار ، والتردد بين الصفا و المروة على سبيل التكرار ، و بمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق و العبودية ، فان الزكاة إرفاق ، و وجهه مفهوم ، وللعقل إليه ميل ، والصوم كسر للشهوة التى هى آلة عدو الله ، و تفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل ، والركوع و السجود فى الصلاة تواضع لله عز و جل بأفعال ، هى هيأة التواضع ، و للنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل ، فأما ترددات السعى و رمى الجمار ، و أمثال هذه الأعمال ، فلاحظ للنفوس ، و لا أنس للطبع فيها ، و لا اهتداء للعقل إلى معانيها ، فلا يكون فى الاقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد ، وقصد الامتثال للأمر من حيث أنه أمر واجب الاتباع فقط

و فيه عزل للعقل عن تصرفه ، و صرف النفس والطبع عن محل أنسه ، فان كل ما أدرك العقل معناه ، مال الطبع إليه ميلا ما ، فيكون ذلك الميل معيناً للأمر و باعثاً معه على الفعل ، فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ، ولذلك قال ﷺ فى الحج على الخصوص : « لبيك بحجة حقاً ، تعبداً و رقاً » ، و لم يقل ذلك فى صلاة ولا غيرها .



وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ، ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على سنن الانقياد ، و على مقتضى الاستعباد ، كان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس ، وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق ، و إذا تفطنت لهذا ، فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة ، مصدره الذهول عن أسرار التعبدات ، و هذا القدر كاف فى تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى » (١) .

و يقول فى الرمى ، و يذكر أن العمدة فيه الانقياد والأمر المجرد :

« فاقصد به الانقياد للأمر إظهاراً للرق والعبودية ، وانتهاضاً لمجرد الامتثال ؛ من غير حظ للعقل و النفس فيه ، ثم اقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنه الله تعالى ، فى ذلك الموضع ، ليدخل على حجه شبهه ، أو يفتنه بمعصية ، فأمر الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طرداً له و قطعاً لأمله ، فان خطر لك أن الشيطان عرض له و شاهده ، فلذلك رماه ، و أما أنا ، فليس يعرض لى الشيطان ، فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان ، و أنه الذى ألقاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى فيه برغم أنف الشيطان .

و اعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى إلى العقبة ، و فى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان ، و تقصم به ظهره ، إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه و تعالى تعظيماً له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه » (٢) .

---

(١) إحياء علوم المجلد الأول ص ٢٤٠ .

(٢) احياء علوم الدين ج ١ ص ٣٤٣ .

و يقول فى الذبح :

« فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال ، فأكل الهدى ورج أن يعتق الله بكل جزء منه جزءاً منك من النار ، فهكذا ورد الوعد ، فكلما كان الهدى أكبر ، وأجزاؤه اوفر ، كان فداؤك من النار أعم » (١)

« الحاج » طوع إشارة ، و رهين أمر :

والحج بمناسكه وأركانه وأعماله ، كله تمرين وتمثيل للاطاعة المطلقة و امتثال للأمر المجرد ، و سعى وراء الأمر ، و تلبية و إجابة للطلب ، فالحاج يتقلب بين مكة و منى ، و عرفات والمزدلفة ، ثم منى ومكة : يقيم و يرحل ، و يمكث وينتقل ، ويخيم ويقلع . إنما هو طوع إشارة ورهين أمر ، ليست له إرادة و لا حكم ، و ليس له اختيار و لا حرية ، ينزل بمنى فلا يلبث أن يؤمر بالانتقال إلى عرفات ، من غير أن يقف بالمزدلفة و يقف بعرفات ، و يظل سحابة النهار مشتغلا بالدعاء و العبادة ، و تحدثه نفسه بالمكث بعد الغروب ، ليستجم ويستريح ، فلا يسمح له بذلك ويؤمر بالانتقال إلى المزدلفة ، و يقضى حيـــاته محافظاً على الصلوات فى وقتها ، و يؤمر بترك صلاة المغرب فى عرفة لأنه عبد لربه ، ليس عبداً لصلاته و عاداته ، فلا يصليها إلا بالمزدلفة جمعاً مع العشاء ، و تطيب له الاقامة فى المزدلفـــة ، فيريد أن يطبلها ، فلا يسمح له بذلك ، و يؤمر بالانتقال إلى منى .

و هكذا كانت حياة إبراهيم و حياة الأنبياء ، وحياة العشاق المؤمنين والمحبين و المتيمين ، نزول و ارتحال ، و مكث و انتقال ، و عقد و حل ،

(١) احياء علوم الدين ج ١ ص ٢٤٣ .



و نقض و إبرام ، و وصل و هجر ، ولا خضوع لعادة ، ولا إجابة لشهوة ولا اندفاع للهوى .

فضل المكان و الزمان ، وموسم الحب والحنان ، واجتماع أهل الصدق و الطلب ، فى جلب رحمة الله ، و تحريك الهمم :

وكان ينبغى أن يكون ذلك فى مكان ، قد قام فيه أكبر المحبين وإمام المخلصين ، و أشد الناس حباً لله ، و أحبهم إلى الله فى عصره ، و أسرته الصغيرة ، الطيبة المباركة ، بأكبر دور فى الحب و الولاء ، و الاخلاص و الوفاء ، و الايثار و الفداء ، و قاموا بأروع رواية و أجملها فى تاريخ الحب السامى والولاء الطاهر ، والاخلاص المعجز ، وجاء من بعدهم الأنبياء و المرسلون ، و الموحدون المخلصون ، و المحبون المتفانون فى كل عصر فنسكوا مناسكهم و شهدوا مشاهدهم ، واحتذوا حذوهم ، و ترسموا خطاهم و حكوا هذه الرواية و أعادوها ، فطافوا حول البيت ، و سعوا بين الصفا و المروة ، و وقفوا بعرفات ، و باتوا فى المزدلفة ، و رموا الجمرات ، و نسكوا فى منى .

وكان فى المكان والزمان ، و فصول الرواية التى يعيدونها ، والأعمال التى يقلدونها ، ونسائم الحب التى ينشقونها ، والجو الفائض بالايمان والحنان الذى يعيشون فيه ، و طبقات الأمة التى يتصلون بها و يعاشرونها ، و فى هذا الالتقاء الدينى الروحى الذى لا نظير له على وجه الأرض ، وفى هذا الضجيج من الدعاء والذكر والتلبية والاستغفار ، ما يعيد الحياة إلى القلوب الميتة ، و يحرك الهمم الفاترة ، و ينبه النفوس الخامدة ، و يشعل شرارة الحب والطموح التى انطفأت ، أو كادت تنطفئ ، ويجلب رحمة الله .

وقد أشار العلماء العارفون إلى ما فى اجتماع المسلمين العظيم ، واجتماع هممهم و دعواتهم و قلوبهم الصادقة من تحريك لرحمة الله تعالى ، و من تحريك للقلوب القاسية ، و إثارة للأشواق .

يقول حجة الاسلام الغزالى :

« فاذا اجتمعت هممهم ، و تجردت للضراعة و الابتهال قلوبهم ، وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم ، و امتدت إليه أعناقهم ، و شخصت نحو السماء أبصارهم ، مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة ، فلا تظن أنه يخيب أملهم و يضيع سعيهم ، و يدخر عنهم رحمة تغمرهم » (١) .

و يقول شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى :

« إعلم أن حقيقة الحج اجتماع جماعة عظيمة من الصالحين فى زمان يذكر حال المنعم عليهم من الأنبياء و الصديقين ، و الشهداء و الصالحين ، و مكان فيه آيات بينات ، قـــد قصده جماعات من أئمة الدين ، معظمين لشعائر الله متضرعين راغبين و راجين من الله الخير ، و تكفير الخطايا ، فان الهمم إذا اجتمعت بهذه الكيفية لا يتخلف عنها نزول الرحمة والمغفرة و هو قوله ﷺ : « ما رؤى الشيطان يوماً هو فيه أصغر و لا أدحر ، و لا أحقر و لا أغيظ منه فى يوم عرفة » (الحديث) (٢) .

(١) احياء علوم الدين ج ١ ص ٢٤٣ .

(٢) حجة البالغة ج ١ ص ٥٩ .

# إقتصادنا في ضوء الإسلام

بقلم

# مشكلة الفقر فى ضوء السنة و التاريخ

فضيلة الشيخ يوسف القرضاوى

فى أملاك الدولة الاسلامية والاموال العامة ، التى تديرها وتشرف عليها ، إما باستغلالها ، أو بايجارها أو بالمشاركة عليها ، و ذلك كالأوقاف العامة ، و المناجم و المعادن التى يوجب الاسلام فى أربع مذاهبه ألا يحتجزها الأفراد لأنفسهم ، بل تكون فى يد الدولة ، ليكون الناس كافة شركاء فى الانتفاع بها فى ريع هذه الأملاك و ما تدره من دخل للخزانة الاسلامية ، مورد للفقراء و المساكين حين تضيق حصيلة الزكاة عن الوفاء بحاجاتهم .

و فى خمس الغنائم ، و فى مال الفئ ، و فى الخراج و كل أنواع الضرائب حق للمحتاجين و المعوزين ، قال تعالى : « واعلموا أنما غنمتم من شئ فان الله خمسه و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل » (١) و قال : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول و لذى القربى و اليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » (٢)

و لقد بالغ كثير من فقهاء المسلمين فى الاحتياط لحقوق الفقراء فى حصيلة الزكاة ، فلم يجيزوا صرفها - كلها أو بعضها - إلى المصالح العامة

(١) الأنفال ٤١ (٢) الحشر ٧



كرواتب الجيش و نحوها ، و لو كان هناك عجز فى الميزانية العامة ، وسعة فى ميزانية الزكاة - إلا بأن تكون ديناً على الميزانية العامة ، تدفع بعد السعة إلى ميزانية الزكاة .

و فى هذا يقول الامام محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة : فعلى الامام أن يتقى الله فى صرف الاموال إلى المصارف ، فلا يدع فقيراً إلا أعطاه حقه من الصدقات حتى يغنيه وعياله .

و إن احتاج بعض المسلمين وليس فى بيت المال من الصدقات شئ أعطى الامام ما يحتاجون إليه من بيت مال الخراج ، و لا يكون ذلك ديناً على بيت مال الصدقة ، لما بينا أن الخراج و ما فى معناه يصرف إلى حاجة المسلمين ( أى و الفقراء منهم ) بخلاف ما إذا احتاج الامام إلى إعطاء المقاتلة ( الجيش ) ولا مال فى بيت مال الخراج ، صرف ذلك من بيت مال الصدقة ، و كان ديناً على بيت مال الخراج ، لأن الصدقة حق الفقراء والمساكين ، فاذا صرف الامام منها إلى غير ذلك للحاجة كان ذلك ديناً لهم على ما هو حق المصروف إليهم و هو مال الخراج (١) .

إن بيت المال هو الموئل الأخير لكل فقير و ذى حاجة ، لأنه ملك الجميع ، و ليس ملكا لأمير أو فئة خاصة من الناس .

روى الشيخان عن النبى ﷺ أنه قال : « أنا أولى بكل مسلم من نفسه ، من ترك مالا فلورثته ، و من ترك ديناً أو ضياعاً ( أى أولاداً صغاراً ضائعين إذ لا مال لهم ) « فالى و على » .

و روى الامام أحمد فى مسنده عن مالك بن أوس قال : « كان عمر

(١) المبسوط للسرخسى ج ٣ ص ١٨

يحلف على أيمان ثلاثة :

١ — والله ما أحد أحق بهذا المال (يعنى مال الفئ والمصالح العامة) من أحد ، و ما أنا أحق به من أحد .

٢ — و والله ما من المسلمين أحد إلا وله فى هذا المال نصيب .

٣ — و والله لئن بقيت لهم لأوتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال ، وهو يرعى مكانه » .

فنى هـذا الأثر العمرى دليل — كما قال الشوكانى — (١) على أن الامام كسائر الناس ، لا فضل له على غيره فى تقديم ، ولا توفير نصيب كما يدل على أن كل إنسان فى ظل دولة الاسلام ، مهما بعد مكانه ، وصغر شأنه يجب أن يدرك نصيبه من مال الجماعة ، حسب حقه و حاجته .

و ليست هذه الكفالة مقصورة على فقراء المسلمين فحسب ، كلا ، فان أهل الذمة من غير المسلمين ، ممن يعيشون فى ظل دولة الاسلام ، لهم حق الكفاية و المعونة من بيت المال كالمسلمين .

روى أبو يوسف فى « الخراج » نص المعاهدة التى صالح فيهـا خالد بن الوليد أهل الحيرة بالعراق — وهم من النصارى — وتشتمل هذه الوثيقة السياسية على نص صريح يقرر تأمين هؤلاء القوم ضد الفقر و المرض والشيخوخة ، و أن تتولى خزانة الدولة « بيت مال المسلمين » تمويل هذا التأمين الذى يعد أول ضمان اجتماعى من نوعـه فى التاريخ ، يقدمه قائد مظفر لجماعة يطلبون الصلح ، مع بقائهم على خلاف دينه .

يقول النص بصريح العبارة ، على لسان سيف الله خالد بن الوليد :

(١) نيل الأوطار ج ٨ ص ٧٩



« و جعلت لهم : أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنياً فافتقر ، و صار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين و عياله ، ما أقام بدار الهجرة ودار الاسلام ، فان خرجوا إلى غير دار الهجرة ، و دار الاسلام ، فليس على المسلمين النفقة على عيالهم » (١) .

هذا ما كتبه خالد فى خلافة أبى بكر ، وأقره عليه من كان معه من الصحابة المجاهدين و كذلك أقره الخليفة الأول أبو بكر الصديق ، و من معه من كبار الصحابة ، ولم ينقل إنكار أحد منهم لما صنعه خالد فى ذلك ، و مثل هذا العمل الذى يفعله صحابى ، و ينتشر فى الصحابة ، و لا ينكره أحد منهم ، يعده كثير من الفقهاء إجماعاً .

و فى عهد الخليفـة الثانى عمر بن الخطاب ، سجل التاريخ حادثة هامة فى تقرير الكفـالة المعيشية لغير المسلمين ، أصبحت بذلك سنة يقتدى بها ، و يهتدى الخلفاء العادلون بهديها ، فان ما سنه الخلفاء الراشدون من السياسات العادلة ، و القوانين الرشيدة ، يعد جزءاً من هذا الدين ، يجب على المسلمين أن يحرصوا عليـه و يتبعوه ، حرصهم على سنة نبيهم ﷺ فهو الذى أوصاهم بقوله : « إن من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً ، فعليكم بسنتى و سنـة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ » (٢) .

كتب الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة — حاكم

(١) الخراج ص ١٤٤ ط السلفية — الثانية .

(٢) رواه أبو داؤد والترمذى و قال : حديث حسن صحيح .

البصرة من قبله ، يوصيه ببعض الواجبات التى يجب أن يرعاها فى ولايته وقد قرئ الكتاب على جمهور الناس بالبصرة لأهميته ، وكان مما جاء فيه :

« وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه ، وضعفت قوته ، وولت عنه المكاسب ، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه ، وذلك أنه بلغنى : أن أمير المؤمنين عمر مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس فقال : ما أنصفناك ، ان كنا أخذنا منك الجزية فى شبيبتك ثم ضيعناك فى كبرك ! ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه » (١) .

على أن الموارد الراتبة للخزانة الاسلامية إذا ضامت عن تحقيق الكفاية للفقراء والمساكين ، ولم يقم أبناء المجتمع المسلم بكفاية فقرائهم من تلقاء أنفسهم ، كما يوجبه التعاون و التراحم بين المسلمين - كما سنبين بعد - فان على أولى الأمر فى الدولة الاسلامية أن يفرضوا فى أموال الأغنياء من التكاليف المالية ما يكفى لمعونة الفقراء ، ويفى بحاجاتهم الأصلية .

و من هنا تتبين أن وظيفة الدولة فى الاسلام وظيفة إيجابية ضخمة و شاملة وليست مجرد حماية حرية الأفراد و ملكياتهم الخاصة ، و إن كل عملها « انتاج الأمن » أى منع السطو والاعتداء ، ثم ترك الناس أحراراً بعد ذلك ، لما سموه « القوانين الطبيعيه » و ترك الضعفاء و الفقراء لعفوية هذه القوانين ، حتى ينحرفوا أو يهلكوا كما هو المعروف عن « آدم سميث » وغيره من دعاة المذهب الفردى والاقتصاد الحر ، فقد قالوا : إن وظيفة الدولة الأولى هى حماية الذين يملكون من الذين لا يملكون .

كما أن أفراد المجتمع ليسوا مجرد عناصر اقتصادية - لا تجمعهم

(١) الأموال لأبى عبيد ص ٤٦ .



رابطة سوى رابطة الانتاج والمنفعة الاقتصادية - كما يقول أولئك الفرديون - كلا ، فان المجتمع فى نظر الاسلام أسرة مترابطة ، بين أفرادها و فئاتها علاقة أعمق وأقوى من علاقة الانتاج الاقتصادى ، علاقة أساسها الايمان و الاسلام ، الذى ربط الجميع بغاية واحدة ، و منهج واحد ، فالتقى الجميع بفضله على وحدة العقيدة والفكر ، و وحدة الشعور والعاطفة ، و وحدة النظام و الشريعة ، و وحدة المبدأ و المصير ، و لهذا صور الاسلام هذا المجتمع بالجسد الواحد ، فكل جهاز أو عضو أو خلية فى هـذا الجسد مرتبط بالأجزاء الأخرى ، يمدها و تستمد منها ، ينفعها و ينتفع بها ، يؤثر فيها و يتأثر بها ، و الدولة التى يقف على قمتها فى الاسلام « الامام » هى الرأس من هذا الجسد ، هى الجهاز الذى يرعى هذا الترابط والتضامن بين الافراد حتى يؤتى ثمراته فى واقع المجتمع .

فليست مهمتها مقصورة على حراسة الملكية و الحرية الفردية من السطو الداخلى أو الغزو الخارجى بل تمتد إلى ما هو أعمق و أشمل ، فان الامام فى الأمة معتبر فى الاسلام كالأب فى الأسرة ، ولهذا قربه بينهما الحديث النبوى الذى رواه الشيخان : « كلكم راع ، و كلكم مسؤل عن رعيته ، فالامام راع و هو مسؤل عن رعيته ، والرجل فى أهل بيته راع وهو مسؤل عن رعيته » .

وكما أن مهمة الأب ليست حماية أسرته و أهل بيته فحسب ، بل هو مسؤل عن اعالتهم وتربيتهم وكفايتهم بالمعروف ، وإقامة العدل بينهم ، فكذلك الامام فى الأمة : هو مسؤل عمن استرعاه الله إياهم ، مسؤلية الوالد عن أولاده ، حتى أن عمر رضى الله عنه ليقول : لو عثرت بغلة بالعراق

لرأيتنى مسؤلا عنها أمام الله يوم القيامة : لماذا لم أسو لها الطريق ؟

و روى المؤرخون عن عمر بن عبد العزيز : أن زوجته فاطمة قالت : دخلت يوماً عليه وهو جالس فى مصلاه ، واضعاً خده على يده ، و دموعه تسيل على خديه ، فقلت : مالك؟ فقال : ويحك يا فاطمة ، قد وليت من أمر هذه الأمة ماوليت ، ففكرت فى الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، و العارى المجهد ، واليتيم المكسور ، والأرملة الوحيدة ، والمظلوم المقهور ، والغريب الأسير ، والشيخ الكبير ، وذى العيال الكثير ، والمال القليل ، و أشباههم فى أقطار الأرض و أطراف البلاد ، فعلمت أن ربى ـ عز وجل ـ سيسألنى عنهم يوم القيامة ، وأن خصمى دونهم محمد ﷺ فخشيت أن لا يثبت لى حجة عند خصومته ، فرحمت نفسى فبكيت (١) .

وحين بايعه الناس واستقرت الخلافة باسمه ـ انقلب إلى بيته وهو مغتم مهموم فقال له غلامه : مالك هكذا مغتماً مهموماً ـ و ليس هذا بوقت هذا ؟ فقال : ويحك ! و مالى لا أغتم ، و ليس أحد من أهل المشارق والمغارب من هذه الأمة إلا و هو يطالبنى بحقه أن أؤديه إليه ، كتب إلى فى ذلك أو لم يكتب ، طلبه منى أو لم يطلب (٢) .

فهذا الخليفة الراشد يرى أنه مسؤل عن كل فرد فى الأمة فى مشرقها أو مغربها ، و إن واجباً عليه أن يوصل إليه حقه ، و إن لم يطالب به كتابة و لا مشافهة ، و بخاصة الفقراء و الضعفاء من المرضى و الشيوخ والأرامل واليتامى و نحوهم من الفئات المهيضة الجناح فى المجتمع .

(١) البداية و النهاية لابن كثير ج ٩ ص ٢٠١ .

(٢) نفسه ص ١٩٨ .



إن أول واجبات الدولة فى الاسلام أن تحقق العدل ، و تدعو إلى الخير ، و تأمر بالمعروف ، و تنهى عن المنكر ، و ليس من العدل و لا من الخير و لا من المعروف أن يجوع الضعفاء أو يحرم الفقراء من الحاجات الأساسية للحياة من مأكل و ملبس و مسكن ، و فى المجتمع أغنياء قادرون لديهم فضول أموال .

و إن على الدولة فى الاسلام أن تتخذ من الوسائل و الأساليب ما يعالج مشكلة الفقر و يضمن الحياة الملائمة للفقراء ، و يحقق التكافل فى المجتمع ، و هذه الوسائل والأساليب تختلف باختلاف الأعصار و البيئات و الأحوال ، و هى مجال رحب لاجتهاد أهل الرأى و أولى الأمر فى الأمة الاسلامية .

واكتفى هنا بمثل واحد من الأساليب التى اتخذها عمر الفاروق بهذا الصدد :

حمى عمر أرضاً قرب المدينة يقال لها « الربذة » لترعى فيها دواب المسلمين ، و معنى حمايتها أى جعلها ملكا عاماً ، وشركة بين الجميع ، ولكنه لم يكتف بذلك ، فجعل هذا الحمى لمصلحة الطبقة الفقيرة ، و ذوى الدخل المحدود قبل كل شئ ، ليكون من هذا المرعى المجانى مصدر لزيادة ثروتهم الحيوانية ، و زيادة دخلهم منها ، ليستغنوا بذلك عن طلب المعونة من الدولة ، و هذا الهدف واضح فى وصية عمر لمنى الذى ولاه على هذا الحمى للاشراف عليه ، فقد قال له : « يا هنى ، اضمم جناحك عن الناس ، واتق دعوة المظلوم فانها مجابة ، وادخل رب الصريمة والغنيمة ( الصريمة : الابل القليلة ، و الغنيمة : الغنم القليلة ) ودعنى من نعم ابن عفان ، ونعم ابن عوف ( أى إبل الأثرياء وغنمهم ) فانهما إن هلكت ماشيتهما رجعا

إلى نخل و زرع ( أى لهم ثروات و مصادر أخرى للدخل ) و إن هذا المسكين ( يعنى رب الصريمة و الغنيمة ) إن هلكت ماشيته جاءنى ببنيه يصرخ : يا أمير المؤمنين ! : أفتاركهم أنا لا أبالك ؟ ! فالكلأ أيسر على من الذهب والورق ( النقود الفضية ) (١) .

وهذه الوصية العمرية تقرر وتؤكد جملة أحكام هامة يعنينا منها هنا :

أولا : وجوب عناية الدولة المسلمة بذوى المال القليل والدخل الضئيل و إتاحة الفرصة لهم ليكسبوا و يغنوا أنفسهم ، و لو كان ذلك بالتضييق على ذوى الثروات الكبيرة ، و تفويت بعض الفرص عليهم ، و حرمانهم مما أتيح للفئات الضعيفة من وسائل الكسب ، وتنمية الدخل . كما تجلى ذلك واضحاً فى قول عمر لعامله : « و أدخل رب الصريمة و الغنيمة ، و دعنى من نعم ابن عفان و نعم ابن عوف .

ثانياً : أن كل إنسان يعيش فى كنف الدولة الاسلامية من حقه إن هلك مصدر دخله وضاع مورد رزقه ، أن يصرخ فى وجه الحاكم المسؤل مطالباً بحقه و حق بنيه فى مال المسلمين - أى فى خزانة الدولة - و أن المسؤل عن الدولة لا يسعه إلا أن يجيب طلبه ، و يكفيه حاجته وحاجة من يعول ، و فى هذا يقول عمر : « و إن هذا المسكين إن هلكت ماشيته ، جاءنى ببنيه يصرخ : يا أمير المؤمنين ، أفتاركهم أنا لا أبالك » .

ثالثاً : أن السياسة الراشدة هى التى تعمل على توفير العمل وتيسيره للقادرين من الفقراء ، و تعمل على تنمية مصادر الدخل لصغار الملاك ، ليستغنى هؤلاء و أولئك بجهدهم الخاص عن طلب المعونة من الدولة ، و تكليفها عبء الانفاق عليهم من خزانتها وهذا يظهر من قول عمر: «فالكلأ أيسر على من الذهب والورق »

(١) الأموال لأبى عبيد ص ٢٩٩ .

# الفقه الإسلامى

بحوث

تعريب : الأخ نور عالم الأميني

# قضايا الأحوال الشخصية للمسلمين

## فى ضوء الوحى الالهى والعقل الانسانى

الأستاذ السيد أحمد القادرى

مدير مجلة « زندكى » الشهرية رامپور ( الهند )

سواء كانت قضايا الأحوال الشخصية للمسلمين أو القضايا و الأحكام الأخرى للشريعة الاسلامية فانه من الصعب إقناع الذين يريدون تعديلها مبدئياً و إلغاءها كلياً بصحة هذه القضايا والأحكام ولزومها و حتميتها .

و السبب فى ذلك هو الخلاف القائم بيننا و بينهم فى عامة المبادئ والأهداف ، إذ أنهم يحاولون حل كل مشكلة فى ضوء المبادئ والاهداف التى يرونها صائبة - سواء كان الدافع عليه تقليد أوربا أو شئ آخر - بينما نريد حل كل مشكلة فى ضوء المبادئ والأهداف التى نقتنع بها نحن - سواء تتعلق بعقيدتنا وإيماننا أو بحضارتنا - وثمرة النزاع أنهم لا يقتنعون بفكرتنا و لا نطمئن بفكرتهم . . و لا يعنينا أن نذكر هنا جميع المبادئ و الأهداف التى فيها النزاع بيننا و بينهم ، و لكن نتعرض ببعض المبادئ والأهداف التى تتعلق بالأحوال الشخصية للمسلمين .

١ — المبدأ الأول الذى هو أساس جميع المبادى و الأهداف هو :



أن العقل الانسانى لا نعتبره - على تقديرنا له و استخدامنا إياه كل الاستخدام - غير محدود كفيلا لحل كل مشكلة ، بل نرى الوحى الالهى شيئاً لا معدى لنا عنه ، ونؤمن أن العقل الانسانى وحده لا يستطيع أن يحل مشاكل الحياة كلها حتى يهديه الوحى الالهى ، يشهد بذلك العقل نفسه والمشاهد و الحقائق و التاريخ الانسانى كله .

نؤمن بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى ووحيه النهائى الذى أنزله على رسوله الخاتم سيدنا محمد - ﷺ - و الغرض من إنزال هذا الكتاب أن يهدى جميع الناس فى العالم إلى صراط مستقيم ، فيتمتعون بالسلوك عليه بالفوز والفلاح فى الدنيا والآخرة ، وأن القانون الذى أنزل فى هذا الكتاب ليس بقانون ناقص محدود بل هو دستور كامل للحياة يأخذ بحجز الحياة كلها ، و الأحكام التى شرعها لنا ذلك الكتاب فى المدنية و الحضارة والمجتمع لازمة لزوم الصلاة و الصيام ، والحج والزكاة ، فكما يجب علينا أداء الصلوات الخمس ، كذلك - على سبيل المثال - يجب علينا توزيع التراث وفق القانون الذى أنزله الله فى القرآن الكريم ، و نؤمن كذلك بأن القوانين التى أنزلت فى القرآن الكريم ليست بطارئة موقتة مستعجلة ، بل إنها تبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولا يمكن نسخها .

٢ — نؤمن بأن الأحوال الشخصية للمسلمين والشريعة الاسلامية كلها بالتالى أنفع و أفضل و أحكم و أصلح للعمل بها فى العهد الحديث أيضاً .

٣ — نعتبر فهم القرآن الكريم لازماً فى ضوء الأحاديث النبوية ، و أقوال الصحابة وتفاسير علماء القرآن المتفق على جلالة شأنهم ، والتواتر العملى منذ عهد النبوة حتى الآن .

٤ — نرى فكرة المساواة الكاملة فى كل جهة و فى كل حقل التى ابتكرتها أوربا خاطئة غير حكيمة ، فان الله قد منح الرجال منزلة الفضيلة والقوامية على النساء و هو المبنى على الحق والصواب .

٥ — و الغاية من العمل بقوانين الله و رسوله هى نصب العـــدل و الانصاف و تأسيس المجتمع النظيف المتعفف ، فنرفض كل قانون و نظام تزدهر بهما الفواحش فى المجتمع وتروج ، ونؤمن بأن قوانين الله ورسوله فى غاية من العدل والانصاف ، و أن العدل هو الذى عده الله ورسوله عدلا ، والظلم هو الذى اعتبره الله ورسوله ظلماً ، فان عقول البشر مختلفة قاصرة ناقصة ، فطائفة تعتبر الشئ عدلا بينما الطائفة الأخرى تحسبه ظلماً .

هذه هى المبادئ والأهداف التى اقتنعت بها عقولنا وعضدتها التجربة التاريخية كذلك ، ولننظر الآن إلى الذين يحاولون تبديل الأحوال الشخصية للمسلمين كلياً أو يدافعون عن القانون المدنى ( Civil Code ) المشترك ، و هؤلاء طائفتان : طائفة تنكر بلسانها كل مبدأ من المبادئ الخمسة الآنفة الذكر ، و طائفة أخرى لا تنكر بلسانها فى صراحة ، و لكن القضايا التى نثيرها و أسلوب فكرها و موقفها كلها تشهد بأنها فى الواقع لم تعد تؤمن بتلك المبادئ الخمسة ، و هاتان الطائفتان فى الحقيقة تعتبران العقل البشرى كافيا لحل كل مشكلة - سواء كان الدافع إلى اعتقادهم هذا تقليد أوربا أو المصالح الشخصية فحسب عند بعضهم - أما الطـائفة الثانيـــة فالدين عندها الصلاة والصيام وحدها ، وأما قضايا الحياة الأخرى فهى خارجة من نطاق الدين ، إنها ترى أن الأحوال الشخصية للمسلمين كانت جديرة بالعمل قبل ١٤ قرنا ، ولكنها أصبحت الآن بالية ولم تعد صالحة للعمل ، وترى



أن الشهادة النهائية لتهديد معنى العدل والظلم هم رجالات القانون فى أوربا و أمريكا ، وكل أحد يستطيع تفسير القرآن الكريم إذا أراد ، ويستحق أن يحدد معانى الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية إذا قدر على قراءة الترجمة الانجليزية أو الاردية لكتاب الله الحكيم ، ولهذا يقولون على ما يشاؤن بل يحرفون كل آية تخالف أى فكرة جاءت من الغرب .

ما هو الطريق ؟

ليس لنـــا أى طريق أصلح غير أن نستمر فى تنوير الرأى العام الاسلامى بالأحوال الشخصية للمسلمين فى ضوء العقل الانسانى و الوحى الالهى ، و نستمر فى الاجابة عن الردود و الشبهات إجابة حكيمة ، و أن نبلغ فكرتنا إلى أكبر عدد ممكن من المسلمين وغير المسلمين ، حتى تتبين لهم أهمية هذه القضايا والأحكام فى الدين و حكمتها و سدادها .

أما المسائل التى تدخل فى دائرة الاجتهاد - أعنى المسائل التى ليست بمنصوصة فى القرآن والحديث - فنحن أيضاً نؤمن بالاجتهاد فيها ، ولكن هذه العملية إنما ليسوغ القيام بها للذين تفهموا الاسلام رأساً من القرآن والحديث ، والذين برعوا فى اللغة العربية ، وبذلوا فى دراسة القرآن والسنة وعلوم الفقه شطراً كبيراً من عمرهم ، والذين يتقون الله ويؤمنون بحساب يوم الدين ، والذين يطيعون الله و رسوله قولا وعملا . و أتقدم فأقول إن الراغبين فى تعديل أحوال الشخصيـــة لو قالوا بالتغيير فى المسائل الاجتهادية وحدها لما كان بيننا و بينهم أى خلاف أساسى ، و لكنهم يطمعون فى الواقع فى التبديل ويستهدفون نسخ الاحكام المنصوصة فى القرآن و الحديث ، التى أجمعت عليها أئمة الاسلام كلها منذ ١٤ قرناً و التى هى

عناصر ضرورية للشريعة الاسلامية ، و الدافع على رغبهم و سعيهم ليس غير هذا كما ذكرناه آنفاً .

و من القضايا التى يستنفد المسلمون المتغربون قواهم فى تغييرها أو تنسيخها أو تحديدها قضيتان مرموقتان : قضية تعدد الزوجات ، و قضية حرمان الحفيد اليتيم من التراث ، والأولى منهما قد ارتفعت لها الأصوات فى شتى الولايات و عرض الاقتراح فعلا لفرض القيود عليها فى مجلس الوزراء فى ولاية « مهاراشتر » ( Maharashtra ) بالهند .

قضية تعدد الزوجات :

مما لا ينكر أن فى القرآن الكريم نصاً صريحاً على جواز أربع زوجات على شرط العدل ، والواقع أن القرآن الكريم قد حصر النكاح غير المحدود الرائج فى جاهلية العرب فى الأربعة فان تعدد الزوجات مشروع منذ القديم ، و لم تحرمه أى شريعة سماوية ، و ميزة الشريعة الاسلامية أنها حصرته فى الأربعة ، و المسلمون المتغربون حينما لا يتمكنون من سحب آية تعدد الزوجات من القرآن الكريم يقولون فى تأويلها وتحريفها المعنوى أقوالا متنوعة متضاربة ، والحق أنه إذا سمح الله سبحانه وتعالى بتعدد الزوجات فلا يمكن لأى مسلم أن يتصور بتنسيخه ، و قد ثبت فى ضوء العقل و التجربة أن القيود المطلقة عليه روجت الفاحشة و الزنا ترويجاً زائداً ، وحيث كان الاسلام ديانة فطرية ، وكانت الغاية العظمى من قانونه الزواجى أن تزوج فى المجتمع الأخلاق والسلوك ، والعصمة و العفة ، فشرع قانونا عادلا متزنا ، فلم يسمح بنكاح غير محدود ، ولم يفرض عليه قيوداً مطلقة ، والهدف الثانى منه ايجاد المودة والرأفة بين الزوجين ، و الثالث بقاء النوع



الانسانى و ازدهاره .

وحيث لم تكن هناك قيمة للعفاف عند أكثر الأوربيين لم يستنكروا تعدد الزوجات فى بلادهم فحسب بل حاول علماء الحقوق و المستشرقون هناك أن تفرض القيود على تعدد الزوجات فى العالم كله ، لكى يتجرد العالم كله من أثوابه مثلهم فى « حمام الفاحشة » على أنهم خرجوا فى كل بلد « قطيعا » لتلامذتهم لا يزالون يراجعون الدروس التى درسوها إياهم .

و الواقع أن قانون وضع القيود على تعدد الزوجات فساد ناتج - كعدة قوانين أخرى - من فكرة المساواة بين الرجال و النساء التى اتخذتها أوربا كرد فعل لأسقفتهم و باباهم ( Pope ) ، يعتقدون أن السماح للرجال بنكاحين أو أكثر فى حين منع النساء منه لنا فى العدل و فكرة المساواة .

و قد وجه إلى قبل أعوام « عالم » من علماء المسلمين أسئلة عديدة عن تعدد الزوجات ، منها هذا السؤال : « من مطالبات النساء اللاتى يطالبن بالمساواة أن يسمح لهن بنكاحين فصاعداً ، فما هو الجواب عندنا لهؤلاء النساء ؟ فان كان الجواب فى النفى ، أفليس يكون معارضاً للعدل والمساواة ،

لهذا السؤال أجوبة عديدة ، و جوابه الأول : أن مطالبة الرجال بأن إيقاع عبء المهور عليهم والنفقة وكفالة الأولاد التى ستلدن يخالف العدل والمساواة أيضاً ، فأما تحقيق الرغبات الجنسية فكلاهما يحتاجان إليه و يتساويان كذلك فى التمتع باللذات و الحظوظ ، فتقضى المساواة أن لا تقع مسؤلية الصدقة و النفقة على الرجال وحدهم ، و لكن الرجال و النساء شريكين متساويين فى كفالة الأولاد ، فما هو الجواب عندكم لهؤلاء الرجال

فان لم تكن تصلح مطالبتهم للقبول ، أفلا يكون هذا خلافا للمساواة ؟

على أن للنساء أن يشكون أنهم يحضن كل شهر ، و يحمان الجنين تسعة أشهر ويكن نفساء ٢٠ يوما أو ٣٠ يوما أو ٤٠ يوما ، بينما الرجال لا يعانون من هذه المتاعب ، و أيضاً يكون الرجل « فاعلا » و المرأة « مفعولة » و هذا كله يعارض مبدأ المساواة .

و جوابه الثانى : أنه إذا كانت الرجال والنساء جنسين مختلفين ، ولم تكن بينهما المساواة فى الأحوال والنزعات الطبيعية ، و المتطلبات الجنسية ، والطبيعة و القوى الجسمية ، و المؤهلات و الأعذار الفطرية ، فأنى يمكن المساواة بينهما فى الأحكام ؟ يقتضى العقل الاختلاف بين أحكامهما على أساس الاختلاف بين أحوالهما الطبيعية ، فان الله الذى خلقهما شرع الأحكام مراعياً أحوال خلائقه ، فلو أهملت هذه الأحكام ، و فرضت الأحكام المتجانسة لما عاد المجتمع صالحاً أبداً ، و لقد نرى أن الأمم التى اتخذت بينهما المساواة المفتعلة تفككت مجتمعاتها أخيراً .

و جواب هذا السؤال بالنسبة إلى الهدف المنشود من النكاح : أن القانون الاسلامى ليس فيه الغرض من النكاح إشباع الرغبات الجنسية والتمتع باللذات فحسب ، بل إنما الغاية العظمى منه تكوين أسرة واحكامها و صيانة النسب ، وعنى به الاسلام إلى أن سد كل ثغرة يتسلل بها الفساد إلى المجتمع ، فأبطل النكاح أثناء العدة بالنساء اللاتى توفى عنهن أزواجهن ، أو اللاتى طلقن حتى يقضين عدتهن . فان السماح بالنكاح فى المدة يشكل خطر اختلاط النسب ، و كثير من أحكام الشريعة الاسلامية تتوقف على ثبوت نسب محدد صحيح ، فبدونه تصبح الأحكام كلها عقيمة متعطلة ، فالدين



الذى يعنى بصيانة النسب مثل هذه العناية كيف يسمح لامرأة بالتزوج بعدة رجال ؟ و الأمر الذى يسترعى الأنظار أن الرجل الواحد يستطيع أن تحمل منه عدة أزواجه ، وكل ولد يكون له نسب صحيح متعين ولكن المرأة الواحدة لا تلد بعد المقاربة من عدة أزواجها فى وقت واحد إلا واحداً ، وهذا الواحد لا يكون نسبه معلوماً محدداً .

و الواقع أن منع المرأة من النكاح بعدة رجال لا ينافى العدل بل إنما هو الاحسان إليها ، و كذلك إلى الأولاد التى ستلدها هذه المرأة ، فان المرأة ذات رجال لا تكون فى الواقع زوجة أى رجل ، و كذلك الأولاد التى تتأتى من هذه المرأة لا تنتسب إلى رجل معين ، و تتلاشى رابطة المودة والرحمة التى ترجى بين الزوجين ، وتحرم الأولاد من عطف الأب و رقابته ، وتعليمه و تربيته ، لأنه لا يكون له فى هذا الوضع أى أب معين ، و بالعكس من ذلك تتواصل النفقة و ما إلى ذلك المحاكمات والقضايا التى لا تكاد تنتهى أبداً ، فهل هنا امرأة تعتبر - و هى لم تفقد الوعى و الرشد - فوت هذه المصالح كلها عدلا ؟ و أما القول بأنه لماذا سمح للرجال بالنلاحين بامرأتين فصاعداً ؟ فجوابه : أن للرجال لو قيدوا بنكاح واحد على الاختلاف الطبعى والفطرى فيما بين للرجال والنساء فمن المحتمل بل من الواقع الموجود أن تكون المرأة المنكوحة واحدة والصديقات كثيرة ، و هو ظلم على الرجل وعلى زوجته ، ولهذا سمح الاسلام للرجال مع شرط العدل الصارم أن يتزوجوا امرأتين أو أكثر .

« يتبع »

# نص قرار مجلس قيادة الثورة الليبى

## حول إقامة حدى السرقة والحرابة

[ نوجه نص هذا القرار المبارك إلى الذين يخافون من تهمة التخلف والرجعية فى كل حين و يتخذون الاسلام « ستاراً » لقضاء مآربهم فى بلاد المسلمين ، يعلنون بالاسلام إذا دعت إليه الحاجة و يتبرأون منه كلما فازوا بالحكم و استوت لهم الرئاسة ، واشتدت حبائلهم و أغلالهم حول أعناق الشعب ]

نزولا على أحكام الشريعة الاسلامية الغراء ، واستجابة لرغبة الشعب العربى المسلم فى الجمهورية العربية الليبية .

و تأكيداً لما تقضى به المادة السادسة من دستور اتحاد الجمهوريات العربية .

وبعد الاطلاع على الاعلان الدستورى الصادر فى ٢ شوال ١٣٨٩ هجرية الموافق ١١ ديسمبر ١٩٦٩م .

و على قرار مجلس قيادة الثورة الصادر فى ٩ رمضان ١٣٩١هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ١٩٧١م بتشكيل لجان لمراجعة التشريعات وتعديلها بما يتفق مع المبادئ الأساسية للشريعة الاسلامية .

و على قانون العقوبات وقانون الاجراءات الجنائية الصادرين فى ٢١ ربيع الأول ١٣٧٣هـ الموافق ٢٨ نوفمبر ١٩٥٣م .



وعلى ما انتهت إليه اللجنة العليا لمراجعة التشريعات وفقا لقرار مجلس قيادة الثورة الصادر فى ٩ رمضان ١٣٩١هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ١٩٧١م المشار إليه .

و بناء على ما عرضه رئيس مجلس قيادة الثورة و رئيس مجلس الوزراء ، أصدر قراره القانون الآتى :

المادة « ١ » : الشروط الواجب توافرها فى السرقة المعاقب عليها حداً :

مع مراعاة أحكام المادة الثالثة من هذا القانون ، يشترط فى السرقة المعاقب عليها حداً ما يأتى :

١ - أن يكون الجانى عاقلا ، أتم ثمانى عشرة سنة هجرية ، مختاراً ، غير محتاج ولا مضطر .

٢ - أن يأخذ الجانى المال خفية بنية تملكه .

٣ - أن يكون المال المسروق منقولا متمولا ، محترما ، مملوكا للغير ، فى حرز مثله ، لا تقل قيمته عن عشرة دينارات ليبية وقت حدوث السرقة .

المادة « ٢ » : حد السرقة :

إذا توافرت الشروط المنصوص عليها فى المادة السابقة يعاقب السارق حداً بقطع يده اليمنى .

المادة « ٣ » : حالات لا يقام فيها حد السرقة :

لا يطبق حد السرقة إذا كان للجانى شبهة كما فى الأحوال الآتية :

١ - إذا حصلت السرقة من الأماكن العامة أثناء العمل فيها أو أى

مكان آخر مأذون للجانى فى دخوله و لم يكن المسروق محرزاً .

٢ - إذا حصلت السرقة بين الأصول والفروع أو بين الزوجين أو بين المحارم .

٣ - إذا كان مالك المال المسروق مجهولا .

٤ - إذا كان الجانى دائنا لمالك المال المسروق ، و كان المالك مماطلا أو جاحداً و حل أجل الدين قبل السرقة ، و كان ما استولى عليه الجانى يساوى حقه أو أكثر من حقه بما لا يصل إلى النصاب فى اعتقاده .

٥ - إذا كان المسروق ثماراً على الشجر أو ما يشابهها كالنبات غير المحصود ، وأكلها الجانى من غير أن يخرج بها .

٦ - إذا كان الجانى شريكا بالاتفاق أو التحريض أو المساعدة ، ما لم تصل المساعدة إلى حد اعتبار الجانى شريكا بالمباشرة .

٧ - إذا تملك الجانى المال المسروق بعد السرقة و قبل الحكم نهائيا فى الدعوى .

٨ - إذا تعدد الجناة و لم يبلغ ما أصاب كل واحد منهم نصابا ، ما لم يكن المسروق نصابا لا تتم سرقته إلا بتعاونهم جميعاً .

٩ - إذا كان للسارق شبهة فى الملك كشركة أو استحقاق فى وقف ، و كالسرقة من بيت المال و السرقة من الغنيمة .

ولا يخل ما تقدم بخضوع الحالات المشار إليها لأحكام قانون العقوبات أو أى قانون آخر .

الباب الثانى المادة « ٤ » : جريمة الحرابة والشروط الواجب توافرها لاقامة الحد فيها :



١ - تتوافر جريمة الحرابة فى إحدى الحالتين الآتيتين :

ا - الاستيلاء على مال الغير مغالبة .

ب - قطع الطريق على الكافة و منع المرور فيها بقصد الاخافة .

٢ - و يشترط فى الحالتين المذكورتين استعمال السلاح أو أية أداة صالحة للايذاء الجسمانى أو التهديد بأى منهما .

٣ - وإذا وقعت الحرابة داخل العمران فيشترط عدم امكان الغوث .

٤ - و يجب أن يكون الجانى عاقلا ، أتم ثمانى عشرة سنة هجرية ، مختاراً ، غير مضطر .

المادة « ٥ » حد الحرابة :

يعاقب المحارب حداً على الوجه الآتى :

ا - بالقتل إذا قتل ، سواء استولى على مال أم لم يستول .

ب - بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى إذا استولى على المال بغير قتل .

ج - بالسجن إذا أخاف السبيل .

المادة « ٦ » سقوط حد الحرابة بالتوبة :

١ - يسقط حد الحرابة بتوبة الجانى قبل القدرة عليه ، وذلك باحدى الطريقتين الآتيتين :

ا - إذا ترك الجانى فعل الحرابة قبل علم السلطات بالجريمة و شخص مرتكبها بشرط اعلان توبته إلى النيابة العامة بأية وسيلة كانت .

ب - إذا سلم نفسه طائعاً إلى الشرطة أو النيابة العامة قبل ظهور قدرة السلطة عليه .

٢ - و لا يخل سقوط الحد بالتوبة بحقوق المجنى عليهم من قصاص

و دية ، كما لا يخل بالعقوبات المقررة فى قانون العقوبات عن الجرائم التعزيرية التى يكون المحارب قد ارتكبها .

المادة « ٧ » اجراءات التحقق من التوبة المسقطة لحد الحرابة :

١ - إذا أعلن الجانى عن توبته وفقا لأحكام المادة السابقة ، تتولى النيابة العامة تحقيق الواقعة و بحث الشروط اللازمة لسقوط الحد .

٢ - فاذا كشف التحقيق عن وجود جرائم معاقب عليها تعزيراً ، أو وجود حقوق مستحقة للمجنى عليهم كقصاص أو دية أو مال مضمون أو قام الشك حول شئ من ذلك ، أحالت النيابة العامة الأوراق إلى المحكمة المختصة للقضاء فيه .

٣ - أما إذا لم يسفر التحقيق عن شئ مما تقدم ، قررت النيابة العامة عدم وجود وجه لاقامة الدعوى لتوبة الجانى قبل القدرة عليه .

الباب الثالث : أحكام مشتركة : المادة « ٨ »

تعزير الجانى الذى لم يتم الثامنة عشرة :

استثناء من شرط السن المنصوص عليه فى المادتين الاولى والرابعة، إذا كان الجانى فى الجريمتين المنصوص عليهما فى هاتين المادتين لم يتم الثامنة عشرة سنة هجرية ، يعزر على الوجه الآتى :

١ - إذا كان قد أتم السابعة ولم يتم الخامسة عشرة ، يعزر بالتوجيه والتوعية و التأنيب ، و يجوز — إذا تجاوز العاشرة — تعزيره بالضرب بما يناسب سنه .

٢ - و إذا كان قد أتم الخامسة عشرة يعزر بالضرب فى جريمة السرقة ، وأما جريمة الحرابة فيعزر بالضرب والايواء فى إصلاحية قانونية .



٣ - و فى الحالتين المنصوص عليهما فى البندين السابقين ، إذا تكرر ارتكاب الجريمة يحكم على الجانى بالضرب بما يناسب سنه ، فاذا كان قد تجاوز العاشرة ، يحكم عليه كذلك بالايواء فى اصلاحية قانونية .

٤ - و تكون جريمتا الحد المنصوص عليهما فى هذا القانون وحدة واحدة فى خصوص التكرار .

٥ - و تعتبر التعازير المنصوص عليها فى هذه المادة مجرد اجراءات تأديبية .

المادة « ٩ » نوع جريمتى السرقة و الحرابة :

تعتبر جناية كل من جريمتى السرقة و الحرابة المعاقب عليهما حداً بموجب أحكام هذا القانون .

المادة « ١٠ » الاثبات :

١ - تثبت الجريمتان المنصوص عليهما فى المادتين الاولى والرابعة من هذا القانون باقرار الجانى مرة واحدة أمام السلطة القضائية ، أو بشهادة رجلين ، ولا يعد المجنى عليه شاهدا إلا فى الحرابة إذا كان شاهداً لغيره .

٢ - و يجوز للجانى العدول عن اقراره إلى ما قبل صيرورة الحكم نهائياً ، و فى هذه الحالة يسقط الحد إذا لم يكن ثابتاً إلا بالاقرار ، و لا يخل سقوط الحد عاقبته تعزيريا وفقا لحكم الفقرة « ٤ » من هذه المادة .

٣ - و يراعى فى صحة الاقرار و الشهادة و شروطهما اتباع المشهور من مذهب الامام مالك ، ويعتبر الشاهد عدلا إذا كان ممن يجتنب الكبائر و يتقى فى الغالب الصغائر .

٤ - و تطبق العقوبات التعزيرية المنصوص عليها فى قانون العقوبات

إذا لم يكتمل الدليل الشرعى المنصوص عليه فى هذه المادة أو عدل الجانى عن اقراره ، و ذلك متى اقتنع القاضى بثبوت الجريمة بأى دليل أو قرينة أخرى .

المادة « ١١ » الشروع :

١ - تسرى أحكام قانون العقوبات على الشروع فى جريمتى السرقة والحرابة المعاقب عليهما حداً .

٢ - و تتحدد العقوبة على الشروع فى الجريمتين المشـــار إليهما وفقا لأحكام المادتين ٦٠ ، ٦١ من قانون العقوبات ، وذلك على أساس العقوبة المقررة للجريمة بحسب وصفها فى القانون المشار إليه .

المادة « ١٢ » تعدد الجرائم و العقوبات :

١ - إذا ارتبطت أو تعددت جرائم الجانى المعاقب عليها حداً يعاقب على الوجه الآتى :

١ - إذا كانت العقوبات متحـــدة الجنس و متساوية القدر ، وقعت عقوبة واحدة .

ب - و ان كانت العقوبات متحدة الجنس ومتفاوتة القدر ، وقعت العقوبة الأشد .

ج - و إذا كانت العقوبات مختلفة الجنس وقعت جميعها .

« يتبع »

# حول تعدد الزوجات

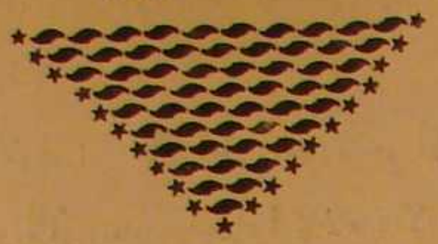

فضيلة الشيخ عبد العزيز العلى المطوع
- الكويت -

[ وصل إلينا هذا المقال الخطير متأخراً ، و ننشره لما فيه من أهمية ، و ما يحمل من تنوير و تبصير للدارسين فى هذا الموضوع الذى شغل بال الكتاب الاسلاميين فى هذا الزمان ]

« التحرير »

يدور بين حين و آخر نقاش حاد و جدل طويل ، حول موضوع تعدد الزوجات ، ففريق يرى أباحته كحق للزوج وآخر يرى منعه أو على الأقل تقييده بتشريع يحـــد من نطاق اباحته ، و كلاهما يستند فى تائيد وجهة نظره إلى النصوص التى وردت بشأن هذا الموضوع فى كتاب الله الكريم

أولا : التعدد من حيث الغريزه و فى الديانات السابقة :

وقبل أن أتناول الموضوع رأيت أن أستعرض مع القارئ أمرين ، لعل فيهما ما يعين على فهمه من هاتين الناحيتين الغريزية والاجتماعية .

أولهما الناحية الغريزية فى الانسان و مقارنتها بمثيلاتها فى الحيوات الاخرى .

و الأمر الثـانى : حكم التعدد فى الشريعتين السابقتين على الاسلام ( اليهودية و المسيحية ) .

أما عن الأمر الأول : فان الحيوانات تنقسم إلى قسمين ، منهـا ما يتعاون فيه الذكر والانثى تعاونا اجتماعياً كالحمام والارانب و ما شاكلها ، إذ يحافظ الذكر فيه على أنثاه و تتجاوب الانثى مع اليفها حتى يتم التوالد بينهما ثم يشتركان كذلك فى تربية نسلهما ، و بعد ذلك تعود الالفة من جديد أو يفترقان .

أما القسم الثانى : فان الذكر لا يتعاون فيه مع الانثى على هذا النحو و لا تقوم بينهما رابطة معينة يمكن أن نسميها ( اجتماعية ) و من هذا : الدجاج والانعام ، و هذه الحالة يكتفى فيها بذكر واحد لكثير من الاناث لمجرد التلقيح .

والانسان ( كحيوان ) أقرب إلى القسم الاول من ناحية التعاون فى التكوين العـائلى ، فكان الاولى به - منطقياً - أن يكتفى بزوجه واحدة ، و إذا كان الرجل لا يخلو من المشابهة الغريزية مع النوع الثانى - فان المراءة كذلك تستطيع القيام منفردة بتربية أولادهـا على نحو قريب لهذا النوع الثانى - متى توفرت لها الامكانيات المطلوبة دون حاجة حتمية إلى عون الزوج عند فقده ، لذلك كله وعند الضرورة يمكن أن يكون للرجل أكثر من زوجه فى حد الاستطـاعة و لا سيما عند قيام الضرورات الاجتماعية الملحة .

أما الأمر الثانى : و هو التعدد فى الشريعتين السابقتين على الاسلام فالتوراة وهى أصل التشريع فى الديانتين : ( اليهودية والنصرانية ) لم تحرم



التعدد ، و لم تحدد عدداً معيناً من الزوجات و للمثال فان نبى الله داؤد تزوج بنحو مأة زوجة ، وكذلك ابنه سليمان كان له من الزوجات ما هو أكثر من ذلك ، أما الانجيل فلم يتضمن تشريعاً جديداً ينظم شئون الناس فى هذه الناحية ، وكل تشريع فى التوراة تشريع للانجيل لذلك كان تحريم التعدد عند أهل الديانتين لا يستند إلى تشريع أو نص سماوى ، و إنما جاء التحريم فيما بعد من رجال الكنيسة ، أما الاسلام باعتباره آخر الأديان - فهو دين عام خالد صالح لكل زمان و مكان إلى يوم القيامة ، و لابد للانسانية على مر العصور - من أن - تتعرض لمشاكل اجتماعية متعددة النواحى والأسباب ، فكان لابد للاسلام أن يقدم لكل عقدة حلا و لكل داء دواء

و لهذا أقر الاسلام اباحة التعدد لظروف اجتماعية مقتضاة تتعرض لها الأجيال والمجتمعات فى مختلف الأزمنة والأمكنة .

ثانيـاً : العدالة الاجتماعيـة و الاحصاء الدقيق و اصداؤهما على موضوع التعدد :

جاء الاسلام و لم يكن هناك تشريع سابق ينظم التعدد و يحدده فعالج هذا الموضوع علاجا محدداً و مفصلا و كان أثر هذا العلاج بارزاً و ملموساً فى المجتمعات الصغيرة كالقرية مثلا حيث يمكن للشرع فى هذه الحالة - أن يتبين حالة المجتمع وحاجته فى يسر و سهولة ، و على ضوئها يقرر ما تتطلبه العدالة الاجتماعية حينذاك ثم أمكن ان يتم العلاج أيضاً بالنسبة للمجتمعات الكبيرة بعد أن ظهرت أساليب الاحصاء العلمى الدقيق الذى يوضح النسبة العددية بين النساء والرجال فى كل مجتمع ، وعلى ضوء

هذه النسب يمكن للتشريع الاصلاحى أن يأخذ طريقه إلى المجتمع و يقيم العدل فى صفوفه حكيماً و مواسيا مع مراعاة الاصداء الاجتماعيـــة لهذا الأمر الهام .

فكيف عالج التشريع الاسلامى هذا الأمر على هدى ما جاء به كتاب الله و سنة رسوله صلوات الله عليـــه ، و ما تقتضيه العدالة الاجتماعية فى اطار صوالحها حالا أو مستقبلا ؟ .

فاذا كان القرآن الكريم قد أباح التعدد و نظمه كما سبق القول ، فانه بذلك يهدف أولا و قبل كل شئ فى اعتقادى إلى إقرار العدالة بين الناس ، و حفظ التوازن بين الجنسين ، و هذا ما توضحه آيات الله البينات فى مستهل ـ سورة النساء بعد ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً و نساء و اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ، وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيراً ، وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ) .

و يحسن أن نشير هنا إلى أمرين أثيرا حول هذا الموضوع .

الأول : أن هناك نقطة هامة دار حولها الجدل و كثر فيها النقاش و اختلف عليها الناس منذ القدم : ما هى الرابطة التى تربط بين العدل فى اليتيم و اباحة تعدد الزوجات ؟

الثانى : يرى الكثيرون أنه إذا كان العدل بين النساء شرطاً لاباحة



التعدد فالقرآن الكريم يقرر فى آية أخرى من نفس السورة : عدم إمكان العدل بين الزوجات ـ رغم الحرص على تحقيقه ـ كما جاء فى قوله سبحانه ( و لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء و لو حرصتم ) و ما دامت اقامة العدل بين الزوجات أمراً مستحيلا ـ فان التعدد كذلك يكون أمره مستحيلا لارتباطه بأمر مستحيل .

إن ما علمته مما أورده فقهاؤنا ـ لم يرح قلبى : ـ

لهـذا رأيت أن أوضح ما أستخلصته ( جهد العمل ) من مفهوم آيات الله الكريمة التى تناولت هذا الموضوع ، آملا أن يكون فيه حل لما اختلف فيه من الحق باذنه سبحانه :

لقـــد أوضح المشرع الحكم الذى يناسب مختلف المجالات المحتملة و هى ثلاث :

(١) حالة يتكافاء فيها عدد النساء مع عدد الرجال .

(٢) حالة تزيد فيها نسبة النساء على الرجال .

(٣) حالة تزيد فيها نسبة الرجال على النساء .

أما الحالة الاولى : فقد أوضحتها الآية الكريمة فى قوله سبحانه : ( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيراً و نساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ) .

إذ يظهر من هـــذه الآية أن الله جل جلاله يخاطب جميع الناس مبينا لهم أن أصل الخليقة لهذا البشر كان من نفس واحدة ـ هو آدم ـ و خلق منها زوجها ( وهى حواء ) و بث منهما رجالا كثيراً و نساء

كثيرات و قد اختار الله لآدم زوجة واحدة و كذلك أوائل أولاده فى وقت كان العالم أحوج ما يكون فيه إلى تعدد الزوجات لزيادة النسل .

ومن الآية نستدل على أن الاكتفاء بزوجة واحدة كسنة آدم - هو أصل الطبيعة ، و طريق الفطرة ، و كثيراً ما ترد فى كتاب الله لفتات ناطقة بالعظة والاعتبار والحث على التفكير والتدبر ، وقد أمر الله الناس فى صدر هذه الآية بالتقوى ثم ختمها أيضاً بالحث على التقوى . . والتقوى خشية الله والا رعواء من بطشه ثم أضاف إلى تقوى الله تقوى الأرحام و فى ذلك إنذار و تحذير ، لنخش الله ، و نتقيه فى أرحامنا ، و فى تنظيم الحالة الاجتماعية بيننا حتى لا نقع فى فوضى تعود بالوبال و الوباء على مجتمعنا من انتشار الأمراض وهتك الأعراض واختلاط الأنساب وهدم كيان الأمة اجتماعياً و خلقياً ، و قد تناول رسول الله ذلك الأمر بقوله ( ﷺ ) : ( من خشى على عقبه و عقب عقبه فليتق الله ) و طالما أن أبا البشر واحد و أمهم واحدة فانهم جميعاً يشكلون عائلة واحدة ورحماً واحداً و فى الحديث : ( كلكم لآدم و آدم من تراب ) .

و عليه يتضح مما تقدم أن الاصل فى هذه الحالة ( كما توحيه قصة بدء الخليقة لآدم و حواء ) أن تكون للرجل الواحد زوجة يحافظ عليها و يعطيها حقوقها دون أن يعتدى على حقوق الآخرين . . . وهذا - فى حالة التكافؤ العددى بين الرجال والنساء كأمر تحتمه العدالة الاجتماعية - قد جاء به القرآن الكريم وقام الرسول ( ﷺ ) بتبليغه للناس ثم جاءت الآية التالية : ( وأتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب و لا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أنه كان حوبا كبيراً ) .



و لقد فكرت فى هذه الآية طويلا و مما دعانى إلى اطالة التفكير فى ذلك أمران :

الأول : إن هذه الآية تأمر بايتاء اليتامى أموالهم ، بينما أية أخرى فى نفس السورة تقول : ( وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ) .

الثانى : ما هى الصلة التى تربط بين خلق آدم وحواء واليتامى وتعدد الزوجات ، و فى اعتقادى أنه لابد من وجود صلة بينهما لأن القرآن العظيم - حلقات متماسكة من فاتحته إلى خاتمته و من خاتمته إلى فاتحته يفسر بعضه بعضاً .

ولقد ظللت فى حيرة من الأمر إلى أن مرت بى قصة واقعية هدتنى إلى العبرة من هذه الآية الكريمة وما تضمنته من سر - ذلك أن رجلا غنياً أحب فتاة كانت خطيبة ليتيم و كان ذلك اليتيم تحت وصاية هذا الغنى حافظاً لأمواله و عند ما قلت له أن الفتاة خطيبة لفلان اليتيم - أجاب بقوله : ( أن فلانا قاصر و لم يبلغ رشده بعد ) و عندها انتهيت إلى أن الوصى كان يمنع عن اليتيم ماله لحاجة فى نفسه و هى رغبته فى الزواج من خطيبة اليتيم ، و فى مثل الحالة التى يتكافأ فيها عدد الرجال والنساء - يطلب القرآن إلى الوصى اعطاء اليتيم أمواله حتى يستعد لأخذ دوره فى الزواج ، أما فى غير هذه الحالة - فانه لا يدفع لليتيم أمواله حتى يمتحن رشده على ضوء تصرفه و خبرته ، و ذلك لصالح اليتيم ، أما إذا كانت للوصى مصلحة من شأنها أن تضر بمصلحة اليتيم فانه أمر يحرمه الشرع الشريف فى هذه الحالة و غيرها ، و كذلك يكون نفس الحكم إذا كانت وصاية الوصى على شئون يتيمة يرغب فى زواجها - فعليه ألا يمسك

عنها مالها لغرض فى نفسه يضطرها معه إلى قبول الزواج منه . . و لعل الآية ١٢٧ من سورة النساء تشير إلى مثل هذه الحالة وهى : ( ويستفتونك: فى النساء قل الله يفتيكم فيهن و ما يتلى عليكم فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن ، و ترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليماً )

و أخرج البخارى و مسلم و غيرهما عن عائشة فى قوله سبحانه ( و يستفتونك فى النساء ) إلى قوله سبحانه : ( وترغبون أن تنكحوهن) قالت ( هو الرجل تكون عنده اليتيمة و هو وليها و وارثها قد شاركته فى مالها حتى فى العذق فرغب أن ينكحها و يكره أن يزوجها رجل فتشركه فى ماله بما شركته فيعضلها ) فنزلت الآية .

و إذا عرف أنه لا يجوز للرجل أن يتزوج إلا واحدة فى حالة التكافؤ - العددى بين النساء والرجال - فكذلك لا يجوز له أن يستبدل زوجة ( خبيثة فى نظره ) بأخرى تطيب له ، معتقداً أنه مادام صاحب حق فى زوجة واحدة و مادام الطلاق فى نظره مشروعا دون قيد أو شرط ، و ما دام يملك من امكانيات الزواج ما يمهد له سبيل الاستبدال - فانه لذلك يستطيع أن يستبدل زوجه بأخرى فى حالة التكافؤ العددى - فهذا غير جائز أيضاً ، حتى لا يصبح الاستبدال عادة مألوفة فى البيئة فتختل موازين التكافؤ ، و حتى لا يجنى الغنى على الفقير واليتيم بالاعتداء على نصيبهما فى المجتمع و حتى لا يجنى الرجل على امراءة قضت زهرة شبابها فى عشرته و هو ظلم صارخ و جناية فادحة و مخالفة لما أمر الله به فى كتابه حيث يقول سبحانه ( ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيراً ) .

# العالم الإسلامي

# انجازات رابطة العالم الاسلامى

## فى حقل العلم و الدين و الدعوة

[ قطوف من تقرير الأمانة العامة الذى قدم فى الدورة الرابعة عشرة للمجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى فى ١٠ شوال ١٣٩١ هـ ]

يسر الأمانة العامة أن تعلم مجلسكم المؤقر بأنه تم فعلا طبع خمسين ألف نسخة من هذه الترجمة التى بلغت تكاليف طباعتها (٩٧٢٠٠) دولار أمريكى دفعتها الحكومة السعودية بأمر خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فيصل المعظم حفظه الله تعالى وأعز به الاسلام والمسلمين .

### ترجمة معانى القرآن الكريم إلى لغة اليوربا

كانت الأمانة العامة قد عرضت على مجلسكم المؤقر الخطوات التى اتخذت لترجمة معانى القرآن الكريم إلى لغة اليوربا و أن الترجمة قد تمت فعلا و بوشر فى طبعها فى بيروت .

و بالرغم من أن الأمانة العامة كانت قد عرضت الترجمة على لجنة من العلماء والعارفين بلغة اليوربا قبل رفع الترجمة للطبع إلا أنها أرادت أن تستوثق أكثر من صحة الترجمة فأعادت عرضها على لجنة أخرى من المتفقهين فى هذه اللغة وما تزال هذه اللجنة تواصل تدقيقها ومراجعتها لهذه الترجمة و عندما تنتهى من ذلك وتوافق على الطبع سنقوم بذلك إن شاء الله تعالى .

### اتحاد الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة

تلقت الأمانة العامة دعوة لحضور المؤتمر السنوى العشرين لاتحاد الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة و قد انتدب المدير العام للرابطة



الذى قام بهذه المهمة و قد تلقى المذكور أثناء وجوده هناك دعوات من رؤساء الجمعيات الاسلامية فى أمريكا الجنوبية الذين حضروا ذلك المؤتمر فقام بزيارة للمسلمين فى بنما، وكولومبيا، وتشيلى، والأرجنتين و البرازيل ، وقدم عند عودته تقريراً عن أحوال المسلمين فى الولايات المتحدة و فى أمريكا اللاتينية ، و سوف يعرض التقرير على مجلسكم المؤقر فى جلساتكم القادمة فى هذه الدورة إن شاء الله تعالى .

### المسلمون فى شرقى إفريقية

استجابة للطلبات التى تلقتها الأمانة العامة من المسلمين فى شرقى إفريقية قد انتدبت المدير العام للرابطة للقيام بجولة فى شرقى إفريقية لدراسة أحوال المسلمين فيها وتفقد معهد رابطة العالم الاسلامى فى جزيرة موريشس لوضع الترتيبات اللازمة للاستفادة من وجوده فى تلك البقعة من العالم ، و قد قدم المدير المذكور عند عودته تقريراً عن البلدان التى زارها وهى: كينيا يوغندا، زائير (الكونغو كنشا سابقا) تانزانيا ، مالاجاسى ( مدغشقر ) جزائر القمر، جزيرة رينيون، جزيرة موريشس، وسيعرض التقرير على حضراتكم فى جلساتكم المقبلة فى هذه الدورة إن شاء الله تعالى .

**قضايا المسلمين و طلباتهم :** تلقت الأمانة العامة للرابطة طلبات عديدة من المسلمين من شتى أنحاء العالم تتضمن كثيراً من حاجاتهم و صوراً عن مشاكلهم وأحوالهم وستعرض على المجلس فى هذه الدورة إن شاء الله تعالى.

**توزيع الكتب والنشرات :** بلغ مجموع الكتب والنشرات التى وزعتها الأمانة العامة للرابطة مجاناً هذا العام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م على المنظمات و الهيئآت و الجمعيات و المراكز الاسلامية و الأفراد داخل المملكة العربية السعودية وخارجها : ( ٤٣٥\٧١٨ ) كتاب و نشرة .

( بقية ص ٩٩ )

و هكذا ، دموعى أصبحت وسيلة تعبير عن حيرة و هى فى نفس الوقت عملية تنفيس مؤقتة يعود بعدها الحال .

إننى يا أخى أعيش حياة لا أرضى عنها وأومن بمبادئ و أفكار لا أنفذها ، فهل من حل؟ لقد حاولت جهدى أن أتغلب على المشكلة الجنسية ولكن بدون جدوى ، و هذه بالنسبة لى أهم مشكلة حيث أننى «لا أستطيع» أن أرى امرأة جميلة مستعطرة متزينة و اصبر عن التطلع و الرغبة .

هذه واحدة .

ثم أنا أشعر تجاه أوربا والغرب عامة بمركب النقص، أشعر بضعف ولكنه ضعف يصحبه التحدى ، أنا أعرف جيداً مافى دينى وتراثى ومثلى من قوة لوبعث لأنارت العالم نوراً يطرد كل ظلمة ، و أعرف أيضاً الأسباب التى حالت و لاتزال تحول دون بعث هذه القوة .

و فى إيطاليا حيث أقيم ، أعيش فى بيئة تحكمها السطحية الفارغة والأنانية المستحكمة و النظرة المادية البحتة ، أما الروابط الانسانية ، أما الحب و التضحية والتعاطف ، فلا مجال لبذورها فى هذه التربة القاحلة ، و هم ينظرون إلينا من خلال نافذة القرن التاسع عشر أيام كانت بلادنا ضيعة لهم ، و صورة ديننا فى أذهانهم مشوهة أشد تشويه ، أما الدين الحقيق فهو دينهم ، و أما الحضارة فهى حضارتهم .

إن بين جنبى يا أخى ثورة مقدسة على كل ما حولى سأظل أحملها ما حييت ، فهو سبب دمار بلدى و انحلال قومى ودثر مثلى و خذلان دينى .

## المغتربون فى محنة قاسية

[ تلقينا من المركز الاسلامى بجنيف نشره تتضمن رسائل بعض الشباب المسلم الحائر فى عالم المادة و الصراع فى أوربا و فيما يلى رسالة تصف ذلك الوضع القاسى الذى يعيشه الشباب المغترب و الذى يستحق دراسة كل من يهتم بقضايا المغتربين ثم يحتاج إلى علاج حاسم و عاجل و قد اخترنا لك هنا واحدة منها تحمل دموع كاتبها وحيرة نفسه وثورة قواده ، وينقدح منها فى النفس مزيج عجب من الأسى الموجع و الأمل المشبوب ] .

أخى فى الله ....أحييك تحية أخ مخلص صدوق ،

فالسلام عليك و رحمة الله

أبعث إليكم طالب انتسابى إلى المركز الاسلامى ، و لكن الأسطر القليلة التى تركتموها خالية لشرح أسباب الرغبة فى الانتساب لم تكف لسرد أسبابى فكتب هذه الرسالة أضمنها أهم ما حفزنى إلى طلب الانتساب .

أنا مسلم !! مسلم بالوراثة ، لاأصلى ، أشرب الخمر، أزنى ، لم أصم رمضان هذا العالم ، أكلت لحم الخنزير وأنا أعرف أنه لحم خنزير ... باختصار، أنا مسلم بالاسم فقط ، و لكن فى داخلى مع ذلك شيئاً أحسه ولكنى لا أعرف كنهه ، لعله رواسب تربية دينية قديمة ، و لعله غير ذلك، ولكنه على كل حال يعذبنى و يعذبنى ، و يدفع بى إلى حيرة ممضة قاتلة ، وابحث عن حل .. و ابحث عن حل .. واعجز .. فأنفجر باكياً ، أبكى بحرقة، فدموعى أصبحت وسيلتى الوحيدة للتعبير عن حيرتى، وأعود لأنغمس فيما كنت منغمساً فيه ، حتى إذا ناء بكاهلى ما يحمل بكيت .

[ انظر ص ٩٨ ]

# أخبار ثقافية و اجتماعيـة

★ انتخب صاحب الفضيلة الشيخ محمدصالح القزاز أميناً عاماً لرابطة العالم الاسلامى خلفاً للفقيد الراحل معالى الشيخ محمد سرور الصبان - رحمه الله - و ذلك فى الدورة الرابعة عشرة للمجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى فنهانينا الطيبة الحارة على هذا الاختيار الموفق الذى صادف محله و نسأل الله أن يعينه على أداء هذا الواجب الجليل و يؤيده بنصر من عنـده فى تحقيق الأحلام و انجاز المشاريع وتوحيد القوى و الطاقات لبث الدعوة و إعلاء كلمة إلله فى الأرض .

★ سافر فضيلة الشيخ أبوالحسن على الحسنى الندوى الأمين العام لندوة العلماء بسلامة الله إلى المملكة العربية السعودية لحضور الدورة الرابعة عشرة للمجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى التى عقدت جلسته فى ١٠ شوال بمقر الرابطة فى مكة المكرمة وقد رافقه الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى فى هذه الرحلة المباركة، كما سافر فضيلة الشيخ محمد منظور النعمانى بنفس الطائرة

★ سافر الأستاذ سعيد الأعظمى الندوى مدير مجلة «البعث الاسلامى» فى ١٥ رمضان إلى الكويت على دعوة بعض أصدقائه الكرام ومكث هنا نحو ثلاثة أسـابع ثم سافر إلى المملكة العربيـة السعودية لأداء مناسك العمرة ، و رجع إلى الوطن فى ٢٥ من شوال بسلامة الله .

★ كانت نتيجة الامتحان السنوى لدارالعلوم ندوة العلماء موفقة سارة فقد كان عدد الناجحين كبيراً بالنسبة إلى السنوات الماضية ، فبارك الله فى علم أبناء هذه الدار وعملهم و تقبلهم لأداء رسالته و تبليغ دينه بالحكمة و الموعظة الحسنة ، و قد بدأ العام الدراسى الجديد لدارالعلوم بعون الله و توفيقه فى السادس من شهر شوال بالطلبة الوافدين الجدد .

Phone 22948 Regd. No. L. 1642

ALBAAS - EL - ISLAMI

**Nadwatul Ulama, Lucknow.( India )**

# بذل المجهود فى حل أبى داؤد

لمؤلفه العلامة الكبير المحدث الجليل الشيخ خليل أحمد السهارنفورى
مدير جامعة مظاهر العلوم سهارنفور ( الهند ) المتوفى ١٣٤٦هـ

إن هذا الكتاب ليس شرحاً وافياً لسنن أبى داؤد فحسب ، بل إنه سفر ضخم يتضمن بحوثاً ذات قيمة كبيرة فى علم الحديث وشرح كلام النبوة ورواة الحديث ومكانتهم وتراجمهم فى ضوء أقوال الأئمة والمحدثين الكبار .

وقد اهتم المؤلف بأقوال الامام أبى داؤد وكلامه فى الرواة وبتخريج التعليقات والفحص عنها فى كتب أخرى ، وتطبيق الروايات بالترجمة كما أنه حكم فيما اختلف الشراح بما شرح الله به صدره وتكلم بكلام فصل من غير تردد ، وميزة أولى لهذا الكتاب أنه كتب على نهج المحدثين وأئمة الحديث الذين تلقت الأمة كتبهم و شروحهم بقبول عام ، واشتمل على بحوث قيمة فى أسماء الرجال وأصول الحديث .

وقد علق على الكتاب فوائد ذات أهمية كبيرة تلميذه النابغة العلامة المحدث الكبير فضيلة الشيخ محمد زكريا ، ونشرت هذه التعليقات على الهامش .

ثمن الجزء الأول ٢٠ روبية وثمن الجزء الثانى ٢٠ روبية ، و ثمن الجزء الثالث ١٨ روبية ، والأجزاء الباقية قيد الطبع ، و يطلب من :

مكتبة دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ ( الهند )
و المكتبة الامدادية باب العمرة ( مكة المكرمة ) .

Printed by S. M. HASANI at Nadwa Press.LUCKNOW

هوالعلیم الخبیر

# کتب خانہ ندوۃ العلماء لکھنؤ

عاریت / خرید .....

| نمبر کتاب | نام کتاب | فن | نام مصنف | مطبوعہ یا قلمی | قیمت | دستخط مہتمم کتب خانہ |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ۲۳۲۷<br>۲<br>۲۰۳۰۴ | البعث الاسلامی<br>المجلد السابع عشر<br>محرم تا حمادی الاولی ۱۳۵۳ھ | جرائد | سید محمد الحسنی و سعید الاعظمی | مذہبی | | |

نوٹ: کتاب یا جلد پر کچھ لکھنا یا خراب کرنا جرم ہے کسی خرابی پر کتاب کی پوری قیمت وصول کی جا سکتی ہے۔